رهاب الطلاق

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

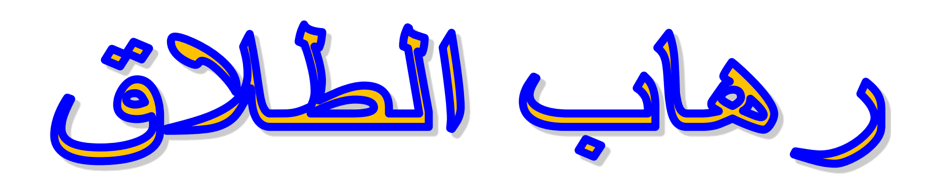
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

رهاب الطلاق

جمال شاهين



نادي الخط العربي

جلس مجموعة من الأصدقاء في نادي الخط العربي ؛ حيث يلتقي هواة ومحترفو الكتابة بالخطوط العربية التراثية والمتطورة والمعاصرة وأصدقاؤهم يثرثرون عندما لا يكون عندهم نشاطات ثقافية أدبية شعرية ، يتحدثون في أحوال البلاد ، وقضايا السياسة والاقتصاد والأسعار ، وكل يدلي بدلوه ؛ كأنه الخبير فيما يتحدث عنه.

وهؤلاء الأفاضل يعملون في مهن وحرف شتى ، الطبيب المهندس المحامي المدرس الشاعر الإعلامي ؛ الضابط ؛ لكن حب الخطوط يجمعهم كما يقال ، وبعضهم يتحدث عن همومه المتنوعة في العمل والوظيفة أو في البيت مع الأسرة مع الزوجة مع الأبناء مع الجيران مع الآباء والأقارب ، يسعون للتنفيس عن أنفسهم .

جلست مجموعة منهم تتحدث عن سيرهم بفشلهم في زواجهم ، وعلاقاتهم الزوجية ، ويشاركهم الإصغاء من يحب سماع قصص الطلاق والفراق ، فتراه معهم مصغيا لحكاياتهم ، مواسيا لنفسه أو لزميله في نادي الخط ، فهم أعضاء فيه لإشغال أنفسهم بالخط العربي وزخرفاته ونسيان القضايا والغموم أثناء الكتابة والتخطيط ، فالزواج والفراق حديث لا ينتهي ، فلان تزوج ، فلان طلق ، فلان ترمل ، ونظرة منك إلى دور المحاكم الشرعية ومؤسسات الإحصاء تتأكد من ذلك ، ناس فرحة وسعيدة بعقد الزواج ، وناس مقطبة وحزينة وهي تستلم عقد الطلاق .

أسباب التسريح والفراق كثيرة ، منها سوء الاختيار للشريك أو الشريكة ، ظروف معينة ، عادات وتقاليد لم تتغير بطول الأيام ، وأشياء أخرى منها الضعف الجنسي والأمراض والفرق الكبير في السن بين القرينين ، والحياة الصعبة والفقر والعجز ، وربما عدم الكفاءة والمجتمع المريض اجتماعيا ، ولا ننسى ضعف الدين وهجره ، والأفلام والمؤسسات الاجتماعية الضعيفة .

جلس المحامي طارق سليم ورفيقه عزيز وآخرون يستعرضون الأيام وحكايات انفصالهم ، لعلهم يواسون أنفسهم من هذا الفشل ونجاح غيرهم، لماذا فشلوا ؟! لماذا نجح غيرهم ؟!

نحن يهمنا أن نسمع القصة ونكتبها فأي تعليق قد لا يجدي نفعا !

بدأ المحامي طارق سليم بحكايته مع الطلاق في أسرته ، وعزيز فارس يصغي إليه بشغف وأسف . اذا كان هناك يوم أسود ويوم أبيض فكان طلاق أم طارق من سليم يوما أسود ، وسيزيد الظلمة في حياته ، وإن لم تكن الأيام جميلة وبيضاء في بيت والده فالمشاكل والنزاعات كثيرة في البيت ، فمنذ ولد وهو يسمع الصراخ والضرب والشتم واللكم ، وكلما كبر فهم أكثر.

لم تكن حياة سليم حياة مثالية فمنذ تزوج نهى شادير وهو يعيش معها حياة نكد ومشاجرات ، كانت في نظره سيئة وبلاء ابتلي به ، وتعتبره هي أسوأ رجل في العالم، وتلعن اليوم الذي رأتها فيه أمه ، ومالت إليها كزوجة لابنها سليم .

لما وضعت مولودها الأول عايدة ، ظن الأهل من الطرفين أن الأمور قد تتحسن وتهدأ المنازعات بينهما والتي تحدث في البيت كل ساعة ؛ ولكن الأمور ظلت على سابقتها .

ويقول له أخوه سعيد : لما تكبر زوجتك في السن ستتحسن وتبتعد عن المشاكل، فزوجتك صغيرة أربعة عشر عاما دون خبرة وتجارب ، فستكبر وستكبر الطفلة، فيرد سليم : أمي تزوجت في مثل سنها .. ساعة سوداء التي رأتها فيها أمي.

قال سعيد مبررا فعل أمه : أنت كنت ملهوفا على الزواج يا سليم ! لا تجعل الحق على أمك ، أنت لما رأيتها رأيت القمر ، وأحسن فتاة في العالم تشبه الممثلة المصرية فلانة ، لم تعد تحتمل الصبر عن الزواج ؛ بل أسرعت بالزواج ، لم تنتظر عودة أخيك سرحان من السفر للمشاركة في حفلة زواجك.

قال سليم مكسوفا : كنت أريد زوجة ، كنت أخشى على نفسي الفتن والنساء ، أصبحت ابن اثنين وعشرين سنة يا سعيد! ألا ترى الكاسيات العاريات أينما مشيت ؟!

قال سعيد : عليك أن ترضى بنصيبك وقدرك.

قال سليم مادحا حماه : والدها رائع! ويقف بجانبي .. المأساة أمها تقويها عليّ وتتهمني بالظلم وإهانة ابنتها التي هي امرأتي .. هل ضرب الرجل امرأته يصبح ظلما ؟!

قال سعيد : غلط أيضا أن يضرب الرجل امرأته!

قال سليم : إنها تثير أعصابي وغضبي يا سعيد! إنها لا تحسن الطبخ والنفخ ، ولا كوي الملابس ولا غسل الثياب .

قال سعيد : إنها صغيرة ! ولم تكن أكبر أخواتها ؛ لتتعلم قبل الزواج ، لم يلحقها دور التدريب.. الكبرى أولى ؛ لأن الناس تتوقع زواج الكبرى قبل الصغرى فتأخذ الأمهات بتدريب الأكبر على أعمال المنزل يا فهيم !

قال سليم : يا رجل ! لها عندي سنتان ، ولم تتعلم شيئا.

قال سعيد : سوف تتعلم يا سليم! الصبر مفتاح الفرج والنجاح.

قال طارق للسامعين : وضعت أمي مولودها الثاني ، وسموه طلالا ، بعد استراحة الولادة وزيارات الناس للوالدة ، رجعت المشاجرات والعنف والزعل والحرد والصلح حتى أنها صارت تسيء لحماتها بدون حياء ، ولا تجلس معها ، ولا تلتقي بها ، وتتهمها بأنها زوجتها وحشا لا بشرا.

ونتيجة لهذه الكلمات تنشب المعارك ، يضرب سليم زوجته ، ويرتفع الصراخ والعويل ، ويفزع الجيران والإخوان ، هذه حياة سليم، فطالبته أمه بأن يرحل لبيت مستقل ، لم تعد الجدة تحتمل مشاكله وأم طلال ، فرفض الطلب.

وقال : لا آمن عليها أن لا تخونني أثناء ذهابي للعمل.. تربيتها فاسدة ، فهي تهددني دائما بالهرب وترك الدار .

عاد يوما من الشغل ، ووجد الدنيا مقلوبة رأسا على عقب، فقدت مدت يدها على أمه ، دفعتها بقوة فسقطت على الأرض ، فقامت بناتها عماتي بضربها بالأحذية والشباشب ، فطردها سليم بعد ضربها إلى بيت أمها.

قضت بضعة أشهر عند والديها ، ثم تدخل أهل الإصلاح ، وردوها لبيت زوجها ، واعتذرت لعمتها حماتها وقبلت يدها ورأسها ، وخيم الهدوء والسكون على البيت عدة أيام فقط . وضعت

أمي مولودها الثالث ، وكانت أنثى سميت عالية ، شجع بعض أصدقاء سليم بالزواج على امرأته عساها تعقل ، ما دام عاجزا عن طلاقها بعد ولادة ثلاثة ، بقولهم الساذج لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولا يغلب المرأة إلا المرأة يقصدون الضرة، وأخذ هذا الاقتراح حيزا من فكره ، وفكر أن يتزوج سرا عن أسرته وزوجته ،ولكنه لم يجد من تقبل به بهذه الصورة ، زواج بدون علم الأقارب وأمه وزوجته .

فأخذ يقلل من وجوده في البيت ، يتعشى بعد العمل ، ويخرج ويسهر في المقاهي وعند الأصحاب ، وزوجته غير مبالية بسهره ، وحتى أنها لا تفتح له الباب أو تقدم له الطعام بعد السهر ، تجعل من نفسها غارقة في النوم . ولد الرابع طارق سليم ، لم تخف وتقل المنازعات ، واعتاد سليم السهر في المقاهي ولعب الشدة لجوف الليل ، وبدأ السفر في رحلات خارج البلد بزعم الراحة والسكون والاستجمام.

وأخذت الإشاعات تسري عنه ، وتردد في البيت الكبير أنه يدخل الخمارات ودور البغاء ، وهو يقسم للأسرة بكذب ذلك.

فقال له أبوه : اذا كنت تفعل ذلك بسبب امرأتك طلقها، وتزوج غيرها.. خمر.. زنا ، لا أقبله لأي ابن .

قال سليم : والأولاد!

ـ يذهبون معها .

قال سليم : والنفقة عليهم !

فقال أبوه : ألست تنفق عليهم ؟ أنا لا أحب أن أسمع أنك تسكر وتزني بحجة المشاكل مع أم طلال .. فأنت لا تسيء لنفسك وحدك ، أنت تسيء لنا لأخواتك للعائلة ، لا تجعل زوجتك شماعة للفجور .. تمنعك من القرب منها ، طلقها وأرح رأسك.

قال سليم : والأولاد!

فقال له أبوه : لست أول من يطلق وله أولاد ، أو تزوج عليها.

قال سليم : لا تقبل تريد الطلاق قبل الضرة .. تناقشنا في الموضوع.

فقال له أبوه : خلاص طلق يا ولدي ! منذ تزوجتها وأنتما في فضائح ، ومعارك البسوس .

قال سليم : سأفكر بذلك .

فقال أبوه : إياك مما أسمع .. سأطردك من البيت العائلي ، وأغضب عليك.. لا يكون حل المشاكل بالخمر والزنا.

قال طارق: لم أدخل المدرسة عندما رحلوا من بيت جدي منذر ، سكنّا ببيت قريب من بيت جدي شادير كان الرحيل مؤلما وقاسيا ، حملت السيارة الأثاث من بيت أبي إلى البيت الجديد وعلمت من أخوات أمي أن أمي طلقت ، وفهمت منهن أن أبي تخلى عنا لأمي . برغم الطلاق واختفاء أبي من بيتنا وحياتنا ما زالت أمي عصبية ومتوترة باستمرار ، تصيح وتصرخ فينا لكل سبب مهم وغير مهم ، تتشاجر معنا بدلا من أبي ، وتتشاجر مع أمها جدتي حليمة في كل زيارة لبيت جدي بزعم أنها سبب زواجها من أبي وتزويجها بسن مبكرة ثم طلاقها ، وحرمتها من تكميل المدرسة والجامعة وأفسدت عليها حلمها ؛ حيث كانت تحلم بالعمل ممرضة ، مدرسة مثل شقيقتها أو قريباتها.

دخلت المدرسة بعد حادث الطلاق ، وعلمت أن أبي يرسل لنا المصروف وإيجار البيت ، لم يغمر السكون البيت ؛ كما كنا نرجو ونحلم ، كنت أرى الأكبر مني يبكون ، ويضربون ، ويصرخ في وجوههم ، ويتلقون البصق والسب ، كثيرا ما رأيت عايدة وعالية في بكاء ، وتمسحان الدمع باستمرار ، ولم تعودا تتحملان عصبية أمي ، فتهربان لبيت الجد شادير ، وعلمت أن جدتي بعد شهور من الطلاق والرحيل أخذت تسعى لإعادة أمي لزوجها أبي ، ولما فشلت في مسعاها فأخذت تسعى لتزويجها من رجل آخر ، وأمي ترفض الزواج ؛ ولو من الوزير ، وبينت رغبتها بالعودة للدراسة رغم بلوغها السابعة والعشرين ، وتحدث المشاجرات بسبب هذه الرغبة ، وأسمع والدها يشجعها على الزواج بدل المدرسة والكلام الفارغ ، وأن تعيدنا لأبينا بدل تحمل مسؤوليتنا ، وأمي ترد وتقول : لو رميتهم على سليم فلن أتزوج ، أريد أن أبقى مطلقة بدون

زوج .. هو الزوج غنيمة !

سمعنا بعد سنة وأكثر أن أبي وجد من تقبل به زوجا ، وأن زوجته ترفض قبولنا للعيش معها فلنعيش عند أمه ، ونحن الأربعة لم نحب العودة للعيش معهم، نريد البقاء مع أمنا المتمسكة بنا ، وترفض الزواج من أجلنا ، ونتمنى أن يغمر البيت السكون .

كانت عايدة تهتم بتدريسي ورعايتي في المدرسة ، كانت صبية قد بلغت سن الرشد والبلوغ ؛ كما أسمع ، وأصبح عمرها في سن زواج أمي نهى شادير ،كانت حياتي رغم صغري عذاب مع أمي ، لا تهدأ ، ولا تكل ولا تمل من النزاع والشجار حتى مع جاراتها ، الحياة مع أمي كانت صعبة وقاسية وبذيئة بألفاظها القذرة ؛ مسببة للحرج والقبح للذكور والإناث ، ونتعرض للصفع والرفس بسبب وبدون سبب ، وكان همها الأول العودة للثانوية العامة والدراسة . لم تكن حياتنا أصلح وأحسن من بيت أبي ، لم تكن حياتنا سعيدة في البيت الجديد صياح ضرب هرب لبيت الجدة ، كثرت المشاجرات الحادة مع الجدة جارتنا ، جدتي راغبة بزواج أمي قبل فوات الأوان ، وأمي ترفض بشدة ، وهمها التقدم لامتحان الثانوية العامة .

ولما أنهيت الثاني الابتدائي طلقت خالتي فايزة ، كانت مثل أمي كثيرة المشاكل وإن بصورة أقل طلقها الأستاذ عيسى احمد ، وسبب تركها وطلاقها عجزها عن الخلفة والولادة ؛ كما علمت عندما كبرت ، وأما جدتي فادعت أن زوجها هو الضعيف والعاجز عن الإخصاب ، وأن ابنتها سليمة وصحتها سليمة ، وكان طلاقها متوقعا كطلاق أمي نهى ، رجعت للعيش مع والديها ؛ ليس معها ذرية لتعيش مثلنا في بيت مستأجر ، وهذا أزعج كنائن جدتي ، وأنا الصغير كنت أفكر لماذا يتزوج الناس ويتطلقون بعد حين بعد سنوات؟! عقلي الغريزي لم يستوعب القضية ، أمي طلقت بسبب زواجها أبي رغما عنها ، وأنها تزوجت صغيرة على الزواج ، لما كبرت ونضجت فوجدت في الحياة أن هذا ليس سببا لحصول الطلاق ، فالكثير من الأمهات تزوجن في سن صغير ، حتى قانون الأحوال الشخصية يجيز زواج ابنة الأربع عشرة سنة ، ثم رفع إلى ست عشرة سنة لقلة زواج البنات في ذلك السن ، وإتاحة فرص الدراسة للبنات ، فتصل البنت

إلى ثماني عشرة سنة لإنهاء الثانوية، أقصد عندما يجيز القانون زواجهن بهذا العمر فهن أهل للمعاشرة والولادة . فأبي بعد طلاق أمي فتح مطعما خاصا به في المدينة ، انفصل عن شريكه غيث ، وكان يستقبلنا في الشهر مرة .

****

لما أنهيت السنة الابتدائية الثالثة علمت أن أختي الكبيرة كبرت وتركت المدرسة لتتزوج فهي في عمر يصح به زواجها، وجدتي تلح على زواجها ، وهي نفسها ترغب بذلك لتخلص من شرور أمها ، وكانت تصاحب أبناء الشوارع الذكور ، ولا تهتم لزجر وعادات حسنة ، فلما كثر الكلام على عايدة أخذت جدتي تبحث لها عن عريس ، فأمي غير مبالية بأخلاقنا ، فأولاد أخوالي وخالاتي وجدي مستاؤون من أفعال عايدة وعلاقاتها الغرامية مع شبان الأحياء الأخرى ، حتى أنها كانت تأخذني معها عند بعض مقابلاتها الغرامية ، وكنت استغرب اجتماعها بمثل هؤلاء الأغراب واسمع غزلهم لها وتقبيلهم لها في عتمة الليل ، وكلام الحب والغرام . وأبي لما سمع أن أحدهم تقدم إليها رحب بذلك سريعا ، فقد وصل إليه خبر مشيها مع المراهقين من أخوالي وأبنائهم ؛ لأنهم سعوا إليه ليأخذها من حضانة أمنا ويرفض أخذ بعضنا يطلب بأخذنا كلنا الأربعة ، وأمنا ترفض .

وخلال عطلة الصيف رحلت عايدة كزوجة ، كان زوجها شابا يعمل نجارا من حارة بعيدة عن حارة جدي ، وأمه صديقة لجدتي أم أمي ، واحتفلنا بزواجها كما يحتفل أهل الحي ، ويستطيع المرء السير إلى بيتها مشيا على القدم في أقل من ساعة نكون عندها ، أحسسنا ببعض الفراغ بعد رحليها ، ثم أصبحت ذكرى في حياتنا ونحن نصارع هذه الحياة بحلوها ومرها ، وبعد انتهاء قصة بكر أمي عادت الجدة تلح على أمي بالزواج ، أسمعها تقول : الأولاد سيكبرون ويتزوجون وتظلين وحيدة والسنوات تمضي ، وعليك بالزواج قبل فوات الأوان ، وأنك ما زلت شابة لم تبلغ الأربعين ،وستجدين من يقبلك كضرة مع نسائه .

ولكن أمي نهى ترفض فكرة الزواج نهائيا وبشدة ، وإنها كرهت الرجال والأزواج، وكانت قد

حاولت النجاح في الثانوية العامة ، ولم تفلح في المرة الأولى ومرة ثانية وفشلت ، ثم استسلمت للفشل ، وأخذت تفكر بالعمل خارج البيت بحجة أن ما يدفعه أبي أصبح قليلا لا يكفي الإنفاق على البيت مع أن البيت نقص مصروف عايدة ؛ ولكن جدي وأخوالي رفضوا هذه الفعلة . وبعد شهور من رحيل شقيقتي أخذت أمي وجدتي تكرران من زيارتها خلال الأسبوع فعلمت أنها حامل وعلى وشك الولادة بمولودها الأول ، فتذهبان لمساعدتها بأعمال البيت ، وطهو الطعام لزوجها.

أنا كنت أقضي نصف نهاري في المدرسة ، والنصف الباقي في اللعب مع أطفال الشارع ، كنت أحب اللعب والشارع أكثر من البيت ، صراخ وزعيق الشارع أهون على نفسي من زعيق وصياح أمي ، ورغم ذهاب عايدة ظلت المشاكل والنزاعات والعويل في البيت ، تحول وانتقل أكثرها لأخي الكبير طلال ولأختي عالية، وشتم الأب مستمرا في جو البيت ، وحتى لأبيها وأمها ؛ كما يشرب أحدنا الماء ، وأم أبي لها حصة في السب والقذف بألفاظ بذيئة واتهامها بالعهر والفجور كلمات أخجل أنا الذكر من نعت أحد بها ؛ لأنهم دمروا حياتها وحرموها من إكمال مدرستها ، وكانت تلعن الساعة التي رأتها أم سليم مع أمها وأحبتها ودخلت قلبها ، ورغبت فيها حليلة لابنها ..أبي.

كنا نذهب لمطعم الوالد في وسط المدينة ؛ حيث أصبح مالكا لمطعم ، كما حدثت سابقا ، وقد انفصل عن شريكه ، وكان يكرمنا بوجبة وببعض المال ، وكنت أحس بأنه غير مسرور من زيارتنا الشهرية ، منذ طلقنا لم يدعنا لبيت جدي أو التعرف على زوجه الأولى والثانية ، وكان يهملنا ويطلب من عمال المطعم عدم الاهتمام بنا كثيرا حتى نمل وننصرف بسرعة ، فيعطينا بعض قطع النقود لنعجل بالعودة لأمنا .

كنا نعلم وندرك أنه تزوج بعد ترك أمنا ، وطلقها بسبب عجزها عن الحمل العاجل ، ثم تزوج الثالثة ، وما زالت على ذمته ؛ كما نسمع من الجدة ، وهي امرأة مطلقة مثل أمي ، ولها أولاد من

طليقها الأول أو الثاني، وعلمنا أنها لم تلد من أبي حتى ذلك الوقت ، وسمعت جدتي تقول لأمي بأنه غير قادر على الإنجاب بعد طلاقها ، فقد قامت الجدة بعمل سحر لأبي وشعوذة أدت مفعولها فيه .

أنهى طلال الثانوية بنجاح كبير رغم بيئة بيتنا السيئة والظروف الصعبة ، ورغب بدراسة الطب ورفض أبي تقديم أي دعم ومساعدة بأعذار شتى ، لا صحة لها ، وطالبه بالعمل بدل تضييع سبع سنوات في الطب ، وتعلم غز إبر ، وحمل سماعة طبية على رقبته ، وأنه غير ملزم بتعليمه، فغضب طلال منه وهجره ، ولم يعد يصحبنا للمطعم وزيارة سليم أبي ، واستعان بمساعدة بعض الخيرين بجمعيات خيرية تقدم مساعدات للدراسة ، وقبلته الجمعية ، فصرت أذهب وحدي لزيارة أبي ، وأنقل له أهم أخبارنا ، وأحيانا ترافقني عالية للخروج من جو البيت ، ولعن أمي وصياحها الذي تعودنا عليه ، وكانت ترفض أي شيء يقدم لها من أكل وحلوى ومال . تفاجأنا لما استقر شقيقي في كلية الطب بطلاق عايدة ، ورغم التوقيت المفاجئ كان هذا متوقعا من كثرة المنازعات ، كانت نسخة عن أمي ، وصمد الزواج خمس سنوات ، نتج عنه طفلان ، ورغم الوساطات أصر الزوج النجار على الطلاق وأختي نفسها ترفض الرجعة ، وأنهت العدة الشرعية في بيت أمي ، وكانت أمي طلبت منها إعادة الطفلين لأبيهما ؛ لرفضه الإنفاق عليهما إلا بما قررته المحكمة وهو مبلغ بسيط ، لا يفتح بيت ، ولا حتى إيجار بيت ، وتنازلت عن حضانتهما لحماتها ، وخيم على البيت الألم والحزن على الخيبة والفشل ، ورحل طلال إلى سكن طلبة خارج أسوار الجامعة.

كنت أسمع وأصمت ، لم يشتد عودي للتدخل في مشاكل الكبار ؛ كما تقول لي أمي ، ثم أصبحت غير مبال بأمر الأسرة ، بعد شهور ستة من الطلاق تقدم رجل لشقيقتي المطلقة وقبلت به أمي سريعا ؛ كأنها تريد التخلص من عايدة ، هكذا بدا الأمر ، وعلمت أن هذا الرجل هو سبب طلاقها من زوجها ، وهو الذي شجعها على الطلاق ليتزوجها بزعم الحب والهوى ، وانخدعت به ، وكانت تلتقي به خفية وعرف زوجها بخيانتها وحبها ، فكان الطلاق. ورفضت

عالية أي زواج قبل الجامعة ، ووافقتها أمي على ذلك ، ولم تقبلا بأي عريس من قبل أم أمي ، ولا من قبل وطرف أبي ، وأخذت الثانوية العامة بنجاح وقبلت في الجامعة ، ووافقت الجمعية على مساعدتها ؛ كما تساعد طلالا .

اقترب امتحان الثانوية لي ، لحقت بهم ، طلقت عايدة من حبيبها رايق ، وقد ولدت له طفلا واحدا ، وسعى أهل الخير بينهما ، فرفض عودتها بحجة أنه بدأ بمشروع زواج جديد ، وأنها غير أمينة على شرفه وسمعته ، وهو الذي أفسدها على زوجها النجار .

أنهيت الثانوية بنجاح ، وكانت عايدة تزف لزوج ثالث ، رجلا يكبرها بعشرين سنة ؛ لكنه فتن بجمالها وملاحتها كما زعم لنا ، هي كانت تفرح بالزوج ، وكنت أفرح بكلية الحقوق ، وبدعم من الجمعيات وقرض تعليمي من الحكومة .

*****

تيسر لأخي الكبير الدراسة في كلية الطب ، كما حلم ورغب وعلى حساب جمعية الخير على أن يسدد نصف القيمة والمصاريف عند الوظيفة ، الطب يستغرق سبع سنوات تعليم ، وذكرت أن أخي ترك البيت عندما طلقت عايدة ، وعادت لبيت أمي ، وسكن مع زملاء في سكن خارج الجامعة ، وكان قليل الزيارة لنا ربما في الشهر مرة ، ويطلب بعض المال لينفقه على نفسه من جدي أو أخوالي، ومرات توجهه أمي لأبي ، فيضطر أمام ضغط الحاجة أن يذهب فيتحصل على القليل ، والكثير يتحصل عليه خاصة في سنواته الأواخر.

أبي كان يدفع أحيانا رغم رفضه لتكاليف الدراسة ؛ لأنه لم ينجب من نسائه بعد أمي ، وتزعم جدتي بأنها عملت له سحرا وحجابا قضى عليه ، وثانيا أصبح يقال له أبو الدكتور طلال ، فينتشي أمام رواد المطعم وأهله ، وكان طلال يستغل ذلك الإحساس فيغامر بالذهاب إليه وقد قضى أكثر من سنة لا يقابل أباه ، ونحن نراه بين الحين والآخر.

أمام إصراره تقدم في السنوات ، وكان لا يحب الشكوى ؛ فكان والد أمي يعطيه بين الفينة والأخرى خفية عن أبنائه ، ويمدح شجاعته وعزيمته .

أنهت عالية دراسة بكالوريوس اللغة الإنجليزية قبل إنهاء سنوات الطب السبعة، فشهادة الآداب أربع سنوات فحسب ، وفي آخر سنة تعرفت على شاب ؛ كما زعمت ، وجاء لأمي خاطبا فقط ، والزواج بعد التخرج والعمل ، وفعلا حدث ذلك تزوجا بعد التحرج ببضعة شهور ، وعملت عالية في قطاع التعليم ، وهو مثلها ، هما يزعمان أنهما تزوجا عن حب وتعارف ثم تبين أن هذا غير صحيح فبعد أقل من شهرين حردت عن بيت الزوج من مشاجرة صغيرة بينها وبين حماتها اضطر الشاب أن يصف مع أمه ، وحدث الصلح بعد أسبوع وعادت لبيت الحبيب بحلم أن يعيشا وحدهما خارج بيت الأسرة الكبيرة ؛ ولكنّ إيهابا عاجز عن تنفيذ هذا الاقتراح بحكم أنه أكبر أفراد أبيه ، وأنه تعلم على نفقتهم ومالهم فهو لا يستطيع اتخاذ القرار وحده ، فبعد أن يتعلم أحد إخوته ويتزوج ، فيفرغ له الشقة ويستأجر بيتا ... متى هذا ؟ الله اعلم .

المحاماة أربع سنوات مثل الآداب ، طلال تخرج قبلي بعام ، عرض أبي عليّ الزواج من ابنة أخيه بعد تخرجي ، فرفضت ، ولا أرى الزواج مهما في حياتي أنا ، فاستعرضت طلاق أمي ، وطلاقه من زوجته الثانية ، وذكرت عايدة خلال سنوات تزوجت ثلاث مرات ، زواج نهايته طلاق لماذا ؟! خالتي طلقت ، عالية كادت تطلق ، أصبح زواجها على مهب الريح ، واذا فكرت بالزواج يوما ما سأتزوج أجنبية إنجليزية أو فرنسية.

فيضحك الوالد ويقول : ومن أين ستأتي بهذه الإنجليزية وأنت في هذا البلد الأسود العقيم ؟

فأقول : سأسافر إلى هناك إلى بريطانيا لدراسة الماجستير أو الدكتوراه ، سأعمل وأجمع بعض المال ، وأسد بعضه للجمعية التي صرفت عليّ مصاريف الجامعة ، وها أنا بدأت بالمراسلة لجامعاتهم.

فيضحك أبي ويقول : سنصاهر الإنجليز آخر الزمن ! ويصير لي كنة إنجليزية.. كيف سأتحدث معها؟!

قلت مازحا : تتعلم الإنجليزي.

قال معترضا : هي تتعلم العربية.

فصرت كلما ألقاه يهمس : تزوج بنت أخي، بنت عمك ، أخي بحبك .

قلت بقسوة : أين كان حبه لما طلقت أمي؟ أين كان حبه لما دخلت الكلية ؟ تخليتم عنا أنت وعليتك ، تسولنا من الجمعيات .

اشتغلت في مكتب محاماة متدربا حتى يسمح لي بمزاولة العمل ، تعليمات وزارة العدل.

عملت كمتدرب في مكتب أحد المحامين المهمين في البلد وذلك بشفاعة وواسطة خالي الدكتور رمضان شادير ، وكنت فعلا مقتنعا بفكرة الزواج من أوروبية لكثرة الطلاق في حياتي سواء من جهة أمي أو من جهة أبي ، أبي مطلق ، وطلق الثانية ومشاكل بينه وبين زوجته الثالثة معها ومع أولادها الذين شبوا كما نسمع ونخبر ، وطلاق أمي وخالتي ، الحق أن خالتي كانت مظلومة في طلاقها؛ لأنها لا تحبل عاقر ، وأمي كانت ترفض الزواج ثانية ، وحاولت الدراسة ولم تفلح ، ثم رأيت طلاق أختي الكبيرة كرتين ، ثم استقرت في بيت رجل يكبرها بعشرين سنة ، وأختي المتعلمة والمعلمة زواجها في مهب الريح ، ويرفض زوجها ترك بيت والديه ، وتزوجت خالتي العاقر رجلا لمجرد خدمته وإمتاعه جنسيا اذا كان عنده طاقة لذلك ، فزوجته عليلة، ولا يريد المزيد من الخلفة .

تخرج طلال وعمل في مستشفى خاص ، بقيت أنا مع أمي في البيت ، وأبي طبعا توقف من زمن من دفع مصاريف البيت ، فقد انتهت الحضانة . وطلال يشجعني على الزواج فأقول أنت الأولى أنت الكبير ، فأخبرني أنه قريب من الزواج ، فقد صادق طبيبة تكبره بسنتين منذ سنوات ؛ ربما يغامر ويتزوجها فاعترضت على كبر سنها.

فقال مبررا : عرفتها في الجامعة ، وهي طبيبة جميلة ومحترمة بمعنى الكلمة ، وتخرجت قبلي ، وجرى بيننا استلطاف وإعجاب ، وسأصبر سنة فإذا لم تتزوج سأتقدم لها وأغامر .

أخي يرى الزواج مغامرة ، وفعلا بعد تخرجه بعام ونصف تزوجا ، وقد ظلت الفتاة تنتظره ،

وتمهل أهلها ، حتى حصل بينهم المقدر الزواج ، وكان والدي سيد وديك الحفل ؛ كما أحب أن يظهر ، وكان يشيع أنه هو الذي تكفل بتدريسنا ونفقاتنا ، ونحن نعرف كذبه بهذا الاستعراض والكثير يصدق ويثني عليه ،ولما يتحدث أحدهم لنا بذلك ندهش ، ومضى العرس بسلام ، وطلال لم يكترث لما أشاع سليم للناس .

وقال بأدب : هو أبي ،والمقربون يعرفون من تكفل بتعليمنا .

فبعد زواج شقيقي قررت دراسة ماجستير في القانون ، وانتسبت لأهم جامعة في البلد ، وعملت في شركة قانونية كبرى ، واشتريت سيارة صغيرة ، وخططت لدراسة الدكتوراه في بلاد الغرب تعرفت على فتاة تدرس مثلي في الجامعة ، وأعجبت بها ، حسناء بمعنى الكلمة وراودتني فكرة الزواج منها ، ونسيان بنات الغرب ، وتركت مراسلة الأجنبيات اللواتي يتركن عناوينهن في صفحات المجلات الأجنبية للتعارف والمراسلة ، علمت منها أنها خطبت فترة قصيرة من قريب لعائلتها ، ثم تركا بعضهما ، سعيت لمعرفة سبب الانفصال والبعد ، فزعمت أنها لم ترض تصرفاته ، ولم ترتاح لأمه.

سمحت لنفسي بالجلوس معها والحديث عن حياتنا الخاصة ، وعن أحلامنا ، ونتناول الطعام في المطاعم ، وبعض السهرات في المسارح ودور السينما وتبادل الهدايا .

ذات جلسة قالت: أخبرتني بأنك ما زلت أعزبا .

قلت : نعم.

قالت : ألم تفكر بالزواج؟

قلت : أفكر فيه مثل خلق الله ؛ إنما أخافه.

قالت : لماذا؟!

فتحدثت لها عن طلاق أمي وأبي وأختي وخالتي ، وقلت: لماذا الزواج ونهايته طلاق ؟!

قالت : هكذا الحياة.. رجل لم ينسجم مع امرأته فماذا يكون؟ الطلاق هو الحل.

قلت : الطلاق سيء يا سامية! يقسم العائلة إلى عائلات مشاجرات حرب إشاعات ظلم

الأطفال .. كانت أمي أحسن حالا عند زوجها ، سمعتها طيبة .

قالت : أمك ليست هي المقياس، هي تزوجت في سن صغيرة لم تستوعب الزواج والحقوق والواجبات ، وتزوجت دون رضاها الكامل ، لتقبل وتتحمل مسؤولية خيارها .

قلت : ولماذا تتزوج بغير رضاها يا سامية ؟! كانت تصب سوء اختيارها علينا نحن .. تصب غضبها علينا ؛ كأننا نحن الذين زوجناها لأبي ، أبي كان مهملا لنا غير مهتم بتربيتنا ، وحتى الإنفاق علينا ، ولولا حكم المحكمة لما دفع لنا شيئا ، الحقيقة مرة حياة المطلقين .. صعبة وعذاب بصمت سواء للرجل أم المرأة.

قالت : لا يصح أن تجعل حياتك مقياس للمجتمع وللسعادة والشقاء ، فجداتك من الجهتين لم تتطلقا ، وأعمامك وأخوالك كذلك ، شرع الطلاق كما تعلم حلا لمشاكل زوجية يا طارق ؛ لذلك طلاق النصارى ممنوع خاصة طائفة الكاثوليك إلا بحدود ضيقة، لذلك يقال زواج كاثوليكي ، نتيجة لصعوبة الطلاق يقبل الزوجان الخيانة الزوجية بكل صمت .. فمشاكل الحياة لا تنتهي .. مشاكل في البيت في العمل في كل مكان .. ونحن محامون أليس كذلك ؟ تعلمنا لمعالجة ومساعدة الناس في حل المنازعات والقضايا .. فحياة الناس اليوم خاصة المدن معقدة وكثيرة .. وأنا متخصصة في قضايا الأسرة والمرأة الشرعية .. فالنساء ضعيفات أمام الأزواج والقهر من الزوج ومن أهلها .. وفي الغالب تنتهي القضايا بالصلح .

قلت : قضايا الأسرة كثيرة ، وبخبرتك ما هو أكثر سبب للطلاق؟

قالت بعد تفكير : الأسباب والدوافع كثيرة ، والأهل لهم دور كبير سواء من جهة الأب أو من جهة الزوجة، فعدم انسجام الزوجة بحماتها وحميها وذريتهم تكثر النزاعات والاتهامات ، وضعف استقلال الرجل عن الأسرة في حياته ومشاكله ؛ وربما عدم قيام الزواج على الكفاءة يسبب النزاعات ، وكذلك المستوى الاجتماعي بين الزوجين ، فالأهل لا يعرفون بعضهم إلا بعد زواج الشابين ، طباع عائلة الزوج تختلف عن طباع أسرة الزوجة ، والانصهار يحتاج لزمن لذلك تجد زواج أهل الريف أقل طلاقا من زواج أهل المدن ، وكل له طريقته في حل المشاكل ،

ويتعجلون في الإنجاب سعيا في تثبيت الزواج من أي هزة ومحنة ، والإنجاب السريع قبل التكيف يذهب ضحيته المواليد ، الأهل يرون الإنجاب سدا لنجاح الزواج والزوج أو الزوجة يريان الخشية من الضعف الجنسي في تأخير الحمل ، وتكثر الإشاعات والأقاويل اذا تأخرت في الحمل ، وعند الطلاق لا يقف الأطفال مانعا وعائقا للانفصال ، ولا الأخلاق تمنع ذلك .

قلت : الطلاق فعلا مشكلة يا سامية ! مشكلة اجتماعية تعم الأرض .

قالت : لذلك في الغرب يسمحون للعلاقات خارج بيت الزوجية خارج قانون الأسرة ، وهذا لا ينفع عندنا لارتباط اجتماعي كبير بين العائلات ، البالغ عندهم لا يكلف والده بالتدخل بحياته والإنفاق عليه ، ويكون بينهم الشباب والشابات علاقات شبه زوجية دون عقد زواج موثق.

****

كانت دراستي الماجستير مسائية وليلية ؛ لعملي صباحا حتى العصر ، فالدراسة سنتان أربعة فصول على الأقل ، وإعداد رسالة قانونية في نهاية الدراسة ومناقشتها أمام لجنة من رجال القانون في الجامعة. كانت صداقتي لسامية خلال هذه السنوات ممتعة ، نقضي ساعات الفراغ سوية في المطعم الجامعي أو مطعم خارج أسوار الجامعة ، حسب الفراغ بين المحاضرات نجلس في ساحات وحدائق الكلية أو مكتبة القانون في الجامعة لإعداد أبحاثنا الجامعية ، وتقليب صفحات المراجع الكبيرة . كانت حياتي أمامها ، علمت قصة حياة أبي وأمي والأسرة هي لم تكن لديها الشجاعة ؛ لتتحدث عن نفسها وأسرتها بالكثير من التفاصيل ، حدثتني عن أخ يكبرها بسنوات ، ويعمل مهندسا ، وبدا لي أن علاقتها به جيدة وممتازة رغم أنه متزوج ، ويسكن في فيلا بعيدة عن بيت الأسرة ، هو الوحيد الذي علمت منها بعض حياته وسيرته.

ذات يوم قالت: ألا تريد الزواج بعد الماجستير أم ما زالت عقدة الأجنبية في نفسك ؟

قلت : الحقيقة لم أتخلص من فكرة الزواج بأوروبية.

قالت بابتسامة : وهل لا يتطلقون أولئك ؟!

قلت : الطلاق في كل المجتمعات حسب معلوماتي حتى الكاثوليكية.

قالت : إذن جرب الزواج من عربية.

قلت : ما زال صراخ وصياح والديّ في أذناي ، طلاقهما حصل وأنا صغير ، نستيقظ من النوم على صياحه وشتمه وذلك قبل ذهابه للمطعم، معركة في الليل معركة في العطل .. معارك .. ولما حصل الطلاق ، لم أفهمه بعد يا سامية ! كنت على وشك دخول الصف الأول ، ولما رحلنا عن بيت أبي وأسرته ظلت أمي تصيح وتصرخ في وجوهنا ووجه أمها على الحامية والباردة كما يقال ، ولا نفهم لماذا الشجار مع الجميع ؛ كأننا نحن الذين طلقناها.

قالت : وكيف هي اليوم بعد أن خلت الدار ؟

قلت : تريد أن أتزوج وأسكن معها ، فأقول لتفضحيني بالشجار ، لو تزوجت سأهرب مثل طلال شقيقي الطبيب.. اليوم تذهب لجدتي أمها تتصايح معها، وما زالت تتهمها بتدمير شبابها وتركها المدرسة .. أبي رغبني بالزواج من ابنة أخيه ، وهي تلح عليّ بالزواج من ابنة أخيها أو أخواتها.

قالت : وهل بينت لها رغبتك بالزواج من إنجليزية كما تحلم؟

قلت : راسلت بعضهن ، فأنا أتقن الكتابة والقراءة بلغة الإنجليز حتى اذا ظهرت رواية مترجمة ولها دعاية وصورت فلما ، أطلبها بلغة الإنجليز ؛ ليس حبا بهم ؛ إنما لغتهم لغة عالمية يتواصل الناس بها في أنحاء مدن العالم الكبرى، لولا المال لأخذت الماجستير عندهم ؛ ربما الدكتوراه افعلها ؛ لعلي أفتح شركة واعمل في التدريس مثل هؤلاء المدرسين، أنت تعلمين قيمة شهادة بريطانيا فرنسا ، لها أهمية في البلاد المستعمرة عربية كانت أو إسلامية.. أنت لماذا تهتمين بزواجي أم مجرد حديث لتمضية الوقت ؟ هل مللت من جلساتي؟

قالت : أنا أستمتع بسماعك يا طارق ، والجلوس معك ومرافقتك للمسرح والسينما وأقدر احترامك لي !

قلت : ألا تتحرجين من ذلك يا سامية!

قالت : لا ، منذ دخلت الجامعة ملكت نفسي ملكا حقيقيا ، لا أحد يتدخل في حياتي الشخصية لا أب ولا أم ولا أخ ، المهم أن أحسن الخيار في الأصدقاء والصديقات ؛ كما يردد أبي وأمي .. هناك ثقة كبيرة بي.

قلت : أو لم تزل القدم بك نتيجة هذه الثقة!

قالت : قليلا ، رافقت فتاة وشابا في أول شركة عملت فيها ، لما سمحت النقابة لي بالعمل بعد حصة التدريب ، اشتغلت رسميا في تلك الشركة القانونية ، رأيت فسادا بينهم وأمورا سيئة فأسرعت بالابتعاد عنهما ، تبين لي أن بينهما أكثر من زمالة وصداقة ، بينهما علاقات جنسية ، وهذه لا تروق لي ، ولا يعني هذا أنني متدينة ، أنا لا أرحب بالعلاقات الجنسية قبل الزواج ، ثم اكتشفت أنهما يحملان أفكارا الحادية وشيوعية ، نعود نفكر الله موجود وغير موجود ، قضينا فصولا في الكلية والجامعة حول هذه القضية ، فتركت الشركة ونسيتهما ، سعوا لتجديد الصداقة معي ورفضتها ، ثم تعرفت على شاب ، وجرى بيننا استلطاف ومشروع زواج ، وعرضني على أمه وبعض أهله ، ودعاني لتناول الطعام معهم أكثر من مرة وبعد فترة رفضت الارتباط به ، لقد رأيت سيطرة أمه عليه في أكثر من زيارة.

قلت : ربما تظاهرت بذلك لتبعدك عنه .

قالت : لا أعتقد ، فشخصيته داخل الشركة قوية جدا ، أما أمام أمه فشخص باهت دون شخصية .

قلت : لكنه شجاع عندما زوّرك بيته ، وعرضك على أمه وأهله .

قالت : في الأول رحبت بي كزوجة لابنها في المستقبل ، ثم لاحظت من خلال الجلسات عدم راحتها للزواج من ابنها يا طارق ، لم تشجعه على الزواج ، صرنا نتحدث عن السياسة والاقتصاد ثم أحجمت عن الزواج منه ومن غيره.

قلت : لو فكرت بالزواج من عربية ؛ لكنت أنت يا سامية ! قد أفكر فيك .. خبرتك ، وخبرت عمق تفكيرك وتحليلك للمسائل والقضايا.

قالت : لكني أنثى ! أغضب وأفرح .

قلت : أعرف أنك أنثى ، وتحملين صفات النسوان .. اليوم الدكتور أنثى وذكر والهندسة والقانون .. الفروق تذوب في المدن .

قالت : ما أخبار جدك والد أمك ؟

قلت : جدي كما أخبرتك سابقا ، ما زال يرقد على سرير الشفاء والعافية ، لي خال طبيب ، وكان يقوم على مساعدتنا ماديا ومعنويا خلال الجامعة ، وعند طلاق أمي وهو بار جدا بأبيه ، فيقضي الكثير من الوقت معه في المستشفى ومع الأطباء ، وأشعر أن جدي مقبل على الموت ، والله تعالى أعلم .

قالت : ألا تريد أن تعرفني على أمك المجاهدة؟!

قلت : مجاهدة ! أمي لم تجاهد ، زهقتنا عيشتنا قبل الطلاق وبعده.

قالت : إنها أمك ، ورفضت الزواج من أجلكم .

قلت : مرات أقول كيف تحملها أبي خمسة عشر عاما ؟! ونحن أطفال كنا نظنها مظلومة حقا ولما بدأت أفهم رأيت أن أبي هو المظلوم بتحمله مشاكلها وصراخها ، الرجل عندما يعود من العمل يحتاج للراحة ؛ وليس الشكوى من أمه من أبيه من أخته من جيرانه ، يحتاج للسكون والهدوء قبل سماع القصص ، ما هو استوى من مشاكل الشغل والشارع .

قالت : إنك تلتمس عذرا لأبيك ، وتلوم أمك ، هل تساعده ماديا ؟

قلت : لا ، يرفض أي مساعدة بحجة أنه لم يدعمنا أيام الجامعة لضعف إمكانيته المالية ، وهذا صحيح ، كان يملك مطعما ، وما زال يملكه بعد طلاق أمي كاملا فخوفه من أمه يبدو مثل صاحبك الذي تحدثت عنه ، أقول إنه كان بخيلا ؛ بل مثل الناس ينفق ؛ لكن بدون سخاء وكرم.

قالت : ألم تختلف معه بشأن زواجك؟

قلت : هذا موضوعه الدائم.

مات شادير جد طارق سليم بعد هذا اللقاء بأيام ، وذهبت سامية لصيوان العزاء ، وصحبتها شقيقتها شادية ، وعزتا والدة طارق وطارق ، وتعرفتا عليها وعلى أمها ، وشكرها طارق على هذه اللفتة والمواساة ، فلما التقيا في الجامعة وبعد منوعات من الحديث ، قال فضوليا : الفتاة التي صحبتيها أصغر منك !

قالت : نعم ، تدرس في الجامعة سنة رابعة بكالوريوس رياضيات .

قلت : إنها لطيفة ! مخطوبة .

قالت : لا ، ترفض الزواج قبل التخرج .

قلت : إنها جميلة ألا تقبلني زوجا !

ضحكت و قالت : غيرت رأيك عن الأوروبيات!

قلت : العين لها دور يا سامية!

قالت : أتحب أن أحدثها عنك؟ حب من أول نظرة ؛ لكنك ستنتظر سنة أو باقي السنة.

قلت : أنت واثقة من قبولها!

قالت : لا طبعا ، سأقول لها عنك ، وستتعرف عليها اذا وافقت.

قلت : هل ترين أني أصلح زوجا ؟

قالت : عجيب سؤالك ! من معرفتي بك ومعرفتي بأختي أرى أنك مقبول لدى الأسرة.

قلت : سأدعوكم للعشاء يوم الخميس القادم أنت وشقيقتك شادية، هل تقبل الدعوة ؟

قالت : سأعرضها عليها .. أنت في نظري شاب جيد ومكافح.

قبلت شادية الدعوة والتقوا ليلة الخميس على مائدة العشاء ، وجرى تعارف موسع بينهم أكثر من ليلة العزاء ، وشكرته على الاهتمام بها ؛ كما نقلت سامية وقالت: عجيب أن تغير رأيك بالزواج من رؤيتي من أول مرة وفي العزاء!

قلت باسما : العزاء اليوم كأنه كرنفال احتفال يا آنسة!

قالت شادية : في صحة في كلامك ، لم يعد الحزن كما كنا نراه صغارا.

تناولوا الطعام مع دردشة وكلام حول الزواج والطلاق ، ووافقت مشاركتهم بعض السهرات للمزيد من المعرفة ، وهكذا كان.

تخرجت وسامية من الماجستير ، وقويت صداقتي بشادية ، وأصبحت ترافقني في السهرات بمعرفة سامية ، وأمر زواجنا أصبح واقعا مرحبا به من سامية وأهلها ، وتمنت لنا السعادة والتوفيق ، وتفاجأت بزواجها بعد الماجستير بأقل من شهرين، تزوجت أحد أخوة زميلة عمل ووافقت بسرعة أدهشتني ، ولما تخرجت شادية تزوجتها ، وفوجئت بكلام من شادية أن أختها كانت ترغب بي زوجا ؛ ولكنها لم تحب أن تبدأ هي في طلبي ، وكانت سريعة بتعريفي بشادية ، وشادية قبلتني بسرعة بدون تردد ، حصل الزواج بيني وبين شادية ، وكان الحفل في فندق مشهور ، دفعت الكثير مما أملك والدين ، واستأجرت شقة تليق بعروسي مع أن أمي انتقلت للعيش مع أمها لرعايتها التي فقدت نظرها وضعف جدا رغم وجود زوجات أخوالي في نفس العمارة ، ظلت الشقة مستأجرة ، أمي لم تعد الأم القديمة التي عشت معها ، منذ خلصت الكلية لم يعد جلوسي معها كثيرا .

بدت شادية زوجة طيبة وجيدة ، وتعد الطعام بشكل جيد ، وترحب بالضيف والصديق ، ولم تستثقلهم ، ولم تكن مشغولة بالحمل وملهوفة لتتأكد من صلاحها كم يزعم العرسان الجدد ، حتى اضطررت أن أسالها ألا تحبين الحمل ؟

قالت : أحبه ؛ ولكني لست مستعجلة.

قلت : وأنا مثلك ، فلنترك الأمر لله وحده.

قالت : وهو كذلك.

مضت سنة على زواجنا ، وكنا في غاية السعادة والانسجام ، كنا نزور سامية وزوجها المهندس ياسين ، وكان شابا جيدا ومهذبا وانطوائيا ، وكانت سعيدة معه وتحبه ، وأنهما يتعالجان من أجل الحمل. كانا يفرحان بكل زيارة نقوم بها لهما ، وكانت سامية تشجع شادية على الحمل خشية أن أسافر لبريطانيا والزواج من إنجليزية ، مع أني طردت هذه الفكرة من رأسي بعد زواجي من

شادية ، اعتقدت أنني خلصت من تلك العقدة ، وزواجي منها يؤكد ذلك.

طبعا لا تخلو حياتنا من المنغصات ، ومشاكل الحياة الدنيا ، ولا أنكر أني تزوجت زوجتي عن حب وعشق من أول نظرة . مرت صفحات حياتي في الجامعة والماجستير بكل احترام للجنس الآخر ، كلنا بشر ، ولم أحاول العبث بأي فتاة ، كانت صداقاتي واضحة بينة ، وكانت رغبتي فعلا أن أتزوج غير عربية ؛ ولكني لم أخطو خطوات جادة وصارمة ، ولا أنكر أن شادية فتاة جميلة وفائقة الجمال ، وأن حسنها وطفوليتها شدّتّاني إليها بسرعة حتى أني تسألت مرات هل أتت بها سامية للعزاء عن قصد أو غير قصد ؟ فهي لم تكن تحدثني عنها أبدا ، كانت زوجة مثالية ؛ لكن بعد التحاقها بالوظيفة العامة بشهور أخذت حياتنا تتغير ، أنا لست ضد عمل النساء ؛ لكن عملهن أفسد حياة الناس ، الزوجة أهم عمل لها الوجود في البيت ، تعمل في البيت الحقل ، حدث التقصير ، أعود من الشركة لا أجدها ، الطعام تعمله مبكرا، تأتي مرهقة تعبانة ، تنام رأسها فيه صداع ، وبدأت تطرح فكرة جلب خادمة للبيت ؛ لتقوم بتنظيف البيت والطهي والغسيل ، فتسألت ليس بخلا هل هذه الأشياء تحتاج لخادمة ؟ نحن اثنان فقط ، والشقة صغيرة لا مكان للخادمة فيها ، كنت أرى الخادمات في بيت خالي الدكتور رمضان ، وبعض أخوالي الآخرين ، وتفاجأت أنها تريد مني أن أدفع راتب الخادمة ، فقلت بصورة مزاح الذي يريد الخادمة يدفع أجرتها.

فصاحت فجأة: أتقارنني بالخادمة ! هل أنا مجرد خادمة لحضرتك ، وفي نظرك.

قلت : لا ، أنت زوجة وحبيبة .. هل شرائي للخضروات والفواكه وكل شيء يعني أني خادم بمعنى كلمة خدم .. البيت لا يحتاج لخادم أو خادمة ليس لدينا أطفال بحاجة إلى مراقبة وحماية أثناء انصرافنا للعمل .. مجرد صحن طبيخ أو كوب شاي يحتاج لخادم .

المهم حدثت مشاجرات وبدأت تكثر ، واشتد الكلام حول استئجار خادمة ؛ لتقوم بأعمال شادية المنزلية ، ورفضت جلب خادمة بقوة ، لم ترق لي الفكرة وذكرتها بأني ما زلت أسدد ديون الماجستير والزواج . غضبت مني ، وطلبت الذهاب إلى بيت أسرتها لقضاء يومين أو ثلاث ،

فسمحت لها دون تشنج .

لم أكن أتصور أن تكون قضية الخادمة لتبق شادية أسبوعا في بيت أهلها حتى اضطررت للذهاب إلى هناك ومعرفة سبب التأخير ، وجرى النقاش في بيت أسرتها وعن ضرورة جلب خادمة ؛ لتخفيف أعباء البيت عن شادية ، فتعجبت من كثرة الأعباء التي يتحدثون عنها ، والراحة والشغل ، وذكرت لهم: نحن اثنان فقط فلماذا ندخل خادمة البيت؟! في النهاية انتهى الجدل بأن أدفع نصف أجرتها ، وهي تتكلف بالنصف الثاني، أنا استأت من شادية وحتى أهلها وشعرت حينئذ أن الفراق اقترب ساورني رهاب الفراق ، نحن نسكن شقة صغيرة فأين تبات الخادمة ، ولم ترتاح نفسي لهذا الضغط ، وتدخل سامية صديقة الماجستير وزوجها في فرض رأيهم عليّ.

تكفل زوج سامية بسؤال مكاتب تشغيل العاملات في البيوت ، وجاءت الخادمة فاضطررت لتغيير الشقة بأوسع من أجل غرفة لمبيت الخادمة ، والرحيل وما أدراك ما الرحيل ؟ تذكرت يوم رحلينا من بيت سليم حين طلقت نهى أمي ، الحق تطيرت ، ووقع في قلبي الطلاق من جديد ؛ كما حدث يوم نزاعنا على جلب خادمة ، آه أيها الرفاق على وجع الرحيل! واستسلمت للأمر خشية الطلاق ورهابه ، لا أريده ، تزوجنا عن حب متبادل واقتناع.

الشقة الجديدة لم تبعد كثيرا عن شقتي الأولى ، فلما استقرت الخادمة في الشقة بدأت أتأخر في العودة للبيت ، قلت ما دام لدى الزوجة من يسليها في البيت صرت أسهر مع الزملاء والمعارف القدماء والجدد من أمثالكم ، وعدت لنادي الخط العربي ، فأنا عرفته من أيام الكلية ووجدت راحة فيه ، وهربا من مشاكل البيت والأقارب ، ممتع تعلم فنون الخط والاستغراق في رسم آية أو حديث أو بيت شعر أو حكمة ، وعدت أدخل المقاهي من جديد التي كنت أتردد عليها قبل الزواج ، وسبب تغيير المنهج بمشاكل ونزاعات مع شادية ؛ ولكنني لم أكترث ولم أعد أرافقها في زيارة أهلها وسامية وغيرها من الشقيقات ، وامتلكت سيارة خاصة بها ، فقلت اسهري عند سامية وأمك.

فقالت بانفعال غاضب : تفعل ذلك ؛ لأني أجبرتك على استئجار خادمة!

قلت بهدوء : أنا لم أجبر يا سيدتي! اختصرت الشر والفتنة فحسب ، وقبلت ذلك من أجلك وأجل راحتك ، والأعباء الملقاة على عاتقيك ، ومن أجل خاطر سامية ، وزوجها دعاني أن لا أكبر المسألة ، وأنه متعاقد مع خادمة ، ونسي أن الخادمة ليست من أجل عيون زوجته ؛ إنما من أجل أمه الضعيفة التي تعيش معهم .

قالت بصوت عال : لا ، لا تضحك على نفسك ، أنت منذ طلبت الخادمة تغيرت نفسك ؛ كأنني طلبت رأس كليب ، ولبن العصافير ، واليوم تتأخر بحجة وجود الخادمة معي ، وأن تأخرك لا يضر بي.

قلت : بدأت أفكر بالضغط على أمي ؛ لتعيش معنا باقي عمرها ، فقد سمعت أنها تتذمر من الحياة مع أمها.

قالت بصوت عال : أتريد أن تفعل مثل سامية وزوجها ؟

قلت : بوجود الخادمة لن تؤثر عليك ، ولن تحتاجي لخدمتها ، والخادمة قادرة على خدمتنا نحن الثلاثة ، وبدل أن تبقى الخادمة وحدها تكون أمي معها .

قالت بتحد : لن تقبل أمك بالرحيل عن أمها ، أنا أعرف نفسية أمك يا طارق ! أنت لم تعد تحب الهدوء ، تبحث عن المشاجرات ، أنا صممت على الخادمة حتى لا تراني مقصرة في خدمة البيت وخدمتك.

قلت : يا عزيزتي! الخدمة .. من يغسل ملابسي ؟ لا أنت ، ولا الخادمة .. الغسالة تغسلها ، وكنت أغسل ثيابي في بيت أمي ، والملابس الخارجية البذلات نذهب بهن إلى المغسلة والكوى والطعام أكثره من المطاعم يا بطة !

قالت: ألا ترى في كلامك ظلما لي واتهاما بالتقصير في طاعتك ورعايتك ؟ وجبة الفطور هي التي تجمعنا ، الغداء بالمطعم وصار العشاء.

قلت : أنا لا أحب طعام هؤلاء العجم .. أقرف من طبخهم .

قالت بصوت عال : المطاعم من يعمل بها ؟ اذا السهر مع الشباب يريحك مني فافعله .. سأتحمل أيها الزوج العزيز.

أخذت أقلل من السهر ليلا ؛ لأني مدرك أن الانفصال قادم ، شعور تملكني بقوة ؛ لكنه ينتظر القشة ، فكنت أرجع عند العاشرة ليلا أو مع هبوط الليل ، وأعتقد أن زوجتي سكتت على مضض واختصار للشر ، وتركتُ زيارة أهلها أختها أخواتها انتهت في برنامجي إلا الزيارات الضرورية التي لا بد منها في حالة المرض ودخول أحدهم المستشفى ، أما السهر للسهر فاعتذر دائما ، وتذهب وحدها وهي تحمل اعتذاري ، وفور خروجها ، ولم تحترم وجودي أغادر الشقة فورا حتى قالت يوما : لم تعد الحياة معك تعجبني .

قلت : لماذا ؟!

قالت بعد أخذها نفسا عميقا : لم تعد طارق الذي تعلقت به من مدح سامية ، لم تعد الصديق الحبيب .. كل هذا بسبب دفع نصف أجرة الخادمة أنا سأدفع نصفك .

قلت : أنا لم أتغير يا شادية ! أنت التي تغيرت منذ استلامك للوظيفة .. أصبح العمل أهم مني لعل الحب برد اذا كان الحب يبرد.

قالت: أنا ما زلت أحبك ، وها أنا أذهب للطبيبة للحمل منك ؛ لتتأكد أني أحبك.

قلت : وأنا فعلت ذلك بعد زواجنا بسنة ، لما لم يحصل الحمل ، ولا تأخذين موانع فذهبت أطمئن على جودة المني .

اعترفت تلك الساعة أنها كانت تأخذ موانع حمل منذ تزوجنا ، تريد معرفة قوة حبنا ، وهل يثبت زواجنا ؟ وإنها تركت ذلك من شهور.

فقلت لها وأنا أسيطر على أعصابي : لماذا فعلت ذلك بدون علمي ودون اتفاق ؟!

قالت: ألم نتفق على تأخير الحمل؟

قلت : لا ، لم نتفق يا شادية ! نحن قلنا أن يأتي الحمل بأمر الله وحده وقتما يريده ، لا أن نمنعه نحن .. إني أتألم جدا من هذه الحقيقة.

قالت: لم أكن أرغب بالحمل سريعا ، فأخذت الحبوب ، وأنت تعلم أن الحبوب لا تمنع الحمل بالكلية مائة بالمائة.

قلت : لكنك بفعلتك هذه جعلتيني أخضع لفحوص طبية لا لازمة لها ، ولما أسمع نتيجة الفحص أظن أن خطأ حدث فاذهب لمختبر آخر ، ظننت أني عقيم .

قالت: لم أفكر بذلك ، ولم تقل لي أنك تفحص قدرتك الإنجابية ، وأنا أخطأت واعترف بذلك.

قلت : بهذه البساطة يا شادية!

قالت: أنا آسف ، دعني أسالك عن أمك.

قلت متهكما : دعني أسالك عن أمي ، ثم تابعت : أمي مريضة وعاتبة عليك ، فإنك لم تذهبي إليها ولم تتصلي بها، وقالت لي لعلك متزوج بنت الرئيس .

قالت: لم تطلب مني ذلك ، ولم تقل لي عن زيارتها ، وغدا سأمر عليها وحدي وأعتذر لها.

قلت : وأعتذر لها .. على كل حال أحب أن أخبرك بأنني سأسافر لليونان لمدة أسبوع تغيير جو وربما منها لفرنسا وبريطانيا.

قالت: فرنسا وبريطانيا لم تتحدث عن ذلك!

قلت : ها أنا تحدثت .. رحلة اليونان سياحة مع شركة سياحية.

قالت بسخرية : مجرد سياحة!

قلت : مجرد سياحة! أما إذا تمكنت من السفر لفرنسا أو بريطانيا فمن أجل الدراسة والدكتوراه.

قالت بتهكم : الحلم القديم!

قلت : حلم الدراسة ؛ وليس الزواج ، ولولا عشقي لك ليلة العزاء لما تزوجتك .

قالت: أما زلت تحبني يا طارق مثل تلك الفترة؟

قلت : لا أدري!

قالت بحزن : لا تدري! ومن يدري ؟

رافقت المجموعة السياحية بالطائرة إلى أثينا عاصمة بلاد اليونان ،كنا عشرين سائحا بين ذكر

وأنثى ، بعضنا فرادى مثلي ، وبعضهم أزواج رجل وامرأته أو أخته ، كان في صحبتي صديقي احمد ناصر المحامي ، تعرفت عليه أيام التدريب ، وظلت الصداقة مستمرة ، ونلتقي بين الفينة والأخرى، انطلقنا في حافلة إلى فندق الحجز ؛ كما رتبت شركة السياحة ؛ لنزور معالم أثينا السياحية التاريخية القديمة والمعاصرة ، وجولات تسوق في أهم الأسواق ، وبعد الجولة المرتبة سيسمح لنا التحرك بحرية داخل المدينة على أن نبقى على اتصال مستمر مع مرشد الرحلة خشية التعرض لإحداث وحوادث ، والأفضل أن يترافق كل اثنين أو أكثر في أي مشوار ، وعند الدخول للحانات والملاهي الحذر والانتباه من اللصوص وحرامية السياحة والنشل.

الأيام الأولى كان أغلبنا يدور ويتحرك قريبا من الفندق ، اللسان العربي متواجد في المدينة ، والمسارح بالعربي متيسرة لخدمة السواح العرب ، والسحنة الشرقية موجودة ، فقد علمت أن اليونان كانت تخضع للحكم العثماني كسائر بلاد العرب قبل تفكك إمبراطورية آل عثمان ، أنا لا أتعاطى الخمر رغم ظروف تفككنا الأسري ، ولم أمارس الزنا في يوم من الأيام رغم سهولة ذلك في مثل هذا الزمن ، ولست أحسب نفسي متدينا شيخا مع أن بعضهم يلقبني بالشيخ ، ولا أحافظ للآسف على الصلاة ، لم تكن أمي تهتم بذلك قبل الطلاق وبعده ، ما رأيتها تصلي أبي كان متدينا ومصليا ، كنت أيام المدرسة أصلي متقطعا ، أما أخي طلال فكان من أهل الصلاة ، ويرتاد المساجد ، ويصلي الجمعة ، وكان يمشي مع الجماعات الدينية ، واستمر على ذلك أيام الجامعة ، وكان نشيطا في الحركة الإسلامية ، لم أكن أهتم بذلك.

زوجتي شادية مثلي لم تعرف الصلاة ولا الصيام ، ولم نكن نتحدث عن ذلك في البيت ، تركت رفيقي يستمتع باللهو والحانات ، وأما أنا فأتركه وأمشي لمراكز علمية أخذت عناوينها قبل الرحلة ، وقمت باتصالات بفرنسا وبريطانيا لتأمين رحلة دراسة ، ووفقت بذلك في جامعة خارج لندن على أن أرسل لهم صورا عن البكالوريوس والماجستير ؛ لذلك لما عدت من السياحة تابعت المراسلة ، ثم كانت الموافقة في تلك الجامعة .

وكانت شادية تتابع ذلك بصمت وغير مبالية ، فهي تعلم كم راسلت قبل زواجنا والتعرف

عليها ، ولم تحاول تشجيعي على السفر ، فلما تمت الموافقة ،قالت : هل سأسافر معك ؟

قلت : أنا سأدرس على نفقتي وبعض القروض ؛ لست مبتعثا .. والحياة في أوروبا ليست كما هنا .. إنها مكلفة ، والدراسة لن تطول .

قالت بصوت عال : وهل سأبقى وحدي؟

قلت : الخادمة معك أو عيشي مع أمك ريثما أرجع .

وفجأة قالت : ما رأيك بالانفصال؟

هتفت رعبا ودهشة: الطلاق!!

قالت: نعم ، الطلاق.

قلت : أنا أحبك، وما زلت على حبك ، وأراك الزوجة والحياة يا شادية ! رغم الفتور بيننا.. أبغض الطلاق وحتى الكلمة !

قالت : لكنني أخذت أفكر فيه منذ سفرك لليونان دوني.

قلت : صدقي يا شادية ما زلت كما عهدتيني ، لم أمس امرأة غيرك كل حياتي ؛ وكما قلت لك قديما أن عملك أبعد روحك عني ، ومن حقك العمل ؛ ولست ضد عمل النساء ، واذا كنت تفكرين أنني سأسافر للزواج من إنجليزية فأنت مخطئة ، فقد انتهى ذلك منذ تزوجتك.

قالت : أنت لم تعد طارق الذي أحببته.

قلت : أنا ما زلت طارقا ، وقبلت عذرك بالنسبة للحمل.

قالت: لنا قرب السنة ولم يحدث.

قلت : عندما يريد الله يحدث ، وعندما أرتب أموري هناك سأدعوك لزيارتي نحتاج لمال كثير ، وأنا كما تعلمين لست غنيا .

قالت : فكر بالانفصال.

كان يجلس في مكتبه ذلك اليوم الأخير للعمل ، وهو يستعد لترك الشركة للسفر إلى أوروبا ، ويفكر بالطلاق الذي تعقد منه يوم غادر بيت أبيه مرافقا لأمه لأنها طلقت ، يفكر فيه بعمق ،

وليس هناك أطفال سيرافقون شادية إلى بيت أمها ؛ لن يتأثر الأطفال بالطلاق ، إنه لا يريد الطلاق ، ولا يريد صحبة زوجته لبريطانيا ، لماذا تريد الطلاق بعد سنوات من الزواج ؟ هي التي كانت غير راغبة بالحمل والولادة .. الطلاق كم أبغضه وأخشاه ! أهو الحل في رأيك ؟ إنها مجرد سنتين وأعود ، قد أشتغل محاضرا في الكلية يا شادية!

كان طارق يتذكر الطلاق في أسرته عندما همست شادية برغبتها بهذه الصفة ، وعلمت برغبته بالسفر لبريطانيا كطالب حقوق ، وهو يرغب بالسفر وحيدا لتقليل تكاليف الحياة في دولة صناعية متقدمة ومن الدول العظمى الخمسة.

فقال لنفسه وهو يسرد مشاهد حياته ، والطلاق في حياة الأسرة : هل جاء الدور عليّ ؟ ها هو طلال يعيش سعيدا مع الطبيبة التي تكبره بسنتين ، ولم أسمع أن الأمر بينهما وصل للطلاق ، وكذلك عالية تزعزت حياتها قليلا ، ثم استقرت ، هل تطلق يا طارق شادية أم تطلق الدراسة ؟ ولو فعلت هل تستمر الحياة ؟

عاد للبيت مهموما ومحتارا ومفكرا ، ولما تعشى مع زوجته ، وقد اتفقا على ذلك العشاء معا ، ولما جلسا في غرفة المعيشة ، قالت وهي تسكب القهوة لهما : ما أخبار السفر ؟

قلت : سيكون قريبا يا حياتي !

قالت: وأنا!

قلت : أنا أحبك ، وقانون الغرب لا يسمح بالتعدد يا شادية! هما سنتان ، وأصبح دكتورا في القانون ، لو سافرت للعمل في الخليج ؛ كما يفعل الكثير من الأصدقاء والمعلمين لا يصحبون زوجاتهم .. أنا ذاهب للدراسة ؛ وليس للزواج ، ولن تطول الغيبة.

قالت: ولماذا لا أصحبك في هذه الرحلة؟

قلت : وعملك.

قالت: يسمح لي بإجازة دون راتب ، كما يفعل المعلمون المعارون لدول الخليج .. وهل تسمح

لي بالسفر للعمل هناك دونك؟

قلت : هذه المقاربة غير عادلة يا شادية ! هل تذهب زوجة للعمل هناك دون زوجها؟

قالت بصوت ساخط : لا فرق بين ذكر وأنثى.

قلت : نظريا يا سيدتي ! واذا سمحت نفسك بالعمل هناك دون زوج أو أخ فافعلي

قالت بصوت عال : إذن سأرتب سفرا للعمل هناك حتى تعود .

قلت : افعلي ذلك اذا كان هذا يمنع طلاقنا.

قالت بصوت كله غضب : واذا قلت إني مصرة على الطلاق.

قلت : لم أعد أصلح لك زوجا ! واذا رفضت السفر تصرفين نظرا عن الطلاق.

قالت: لا ، أنا ومنذ قضية الخادمة أفكر بهذه الفكرة ، ومنذ عرفت أنك اعتبرت ذلك هزيمة لذكوريتك ، كما تردد هذا الكلام.

قلت : حسنا يا شادية! سنحتكم لشقيقتك سامية.

قالت صارخة : وما دخلها في حياتنا الخاصة ؟!

قلت : نعم ، أدركت فيما بعد أنها هي التي كانت ترسم لزواجي منك ، وكانت ذكية في ذلك ، ولم يكن اللقاء في العزاء صدفة يا شادية!

قالت : بل صدفة أحبت أن أرافقها في أداء العزاء لصديقها في الماجستير ، وكانت سامية تتحدث عنك بإعجاب ؛ وربما كانت تعتقد أنك ستتزوجها يوما ما.

قلت : كانت أكبر مني بسنة ، وأسمع أن من أسباب فشل الزواج كبر المرأة عن الرجل.

قالت بصوت عال : كلام فارغ يا طارق ! فلا داعي لأخذ رأي سامية في هذه المسألة .

قلت : أهناك ذكر آخر ؟

أظهرت الغضب ، وبدا متصنعا ، وقالت : أنا محترمة يا طارق ! وأنت تعرف ذلك لا أسمح لنفسي بخيانتك ما دمت قد رضيتك ذكرا لي ، لم أحب رجلا قبل اللقاء بك .

قلت : وإلا ما السبب الحقيقي للطلاق ؟

قالت: السفر والدراسة ، وأنا متأكد أن حلمك القديم ما زال مخزونا في عقلك وخيالك .

قلت : جيد! هو حلم كما تفوهت .. ما كل ما يتمنى المرء يدركه يا حبيبتي! قلت لك مرارا وتكرارا إن هذه الفكرة طارت مع شوقي وحبك ، وتلك البلاد لا تسمح بالتعدد قبل طلاقك .

قالت ضاحكة : الرجال متقلبون ، غمزة من حسناء تنسون عشرة عمر ، لم أعد أحس بحبك يا طارق كما كنا قديما !

قلت : أنت تصنعين المشاكل والبرود.

قالت : وأنا أقول أنك أنت الذي يجعل من الحبة قبة ، وأنا صممت على الخادمة حتى لا أقصر في حقك وفي خدمة البيت ، وأنا وفية لك ولشرفي ، وأنت الزوجة عندك مجرد خادمة وغسالة .

قلت : هكذا هي الزوجة ، وهذه هي النظرة القديمة ، فلم أتعامل معك على هذا المبدأ .

قالت: هكذا الحال يا صديقي! لم تتحمس لوجود الخادمة لما اقترحت ذلك ، وقلت إن البيت لا يحتاج لخادمة .

قلت : ألا تريدين الحديث مع سامية ؟ ناقيشها في الطلاق .

قالت: أنا بكل قواي العقلية يا طارق لست بحاجة لمشورة أحد في حياتي الخاصة

قلت : الطلاق يعني أنك تقولين تزوج إنجليزية لتحقق حلم صباك!

قالت: أخشى أن ترسل لي خطاب الطلاق ؛ لأنهم كما تعلم لن يسمحوا بالزواج قبل تطليقي وأنت لا تقبل أن تتخذ خليلة لتجرب نساء الإنجليز

قلت : وهل تختلف النساء في كل أنحاء العالم عن بعضهن ؟ خليلة .. أنا درست في الجامعة ، وتعرفين الجامعة مسرح للهوى والعشق ، وقابلت فتيات شتى ، فلم تهفو نفسي للفاحشة ؛ إنما هي سنتان يا حبيبتي !

قالت: قد تغير رأيك وتستقر هناك .

أخذت تتحدث عن حرية أولئك الخلق وسعادتهم والتزامهم بالقانون والابتعاد عن المحسوبية والقبلية. ثم تسألت وقالت: أليس لديهم احترام للنساء ؟ كما نسمع وأن الناس سواسية أمام

القضاء أو هكذا نسمع، أما الواقع فالله أعلم.

قلت : حسنا يا شادية! اذا حدث السفر يكون لك ما شئت ، وسأدفع لك المؤخر كاملا دون تقسيط ، أنا أعلم أن السنوات الأخيرة معك كانت كلها كره وبغض لي ، وصبرت على أمل أن يعود الصفاء المفقود .. ما الذي قلبك وغيرك ؟ لست أدري ! وقضية الخادمة لا اعتقد أنها السبب .

قالت: أنت مخطئ .. الغِ السفر سألغ طلب الفراق .

قلت : ولماذا ألغي السفر ؟! ألا تريدين أن أصير كبيرا في البلد محاضرا أكاديميا وزيرا .

قالت : يسرني ذلك ، وفخر لي ، ويمكنك أخذ الدكتوراه هنا ، اذا الشهادة ستجعلك وزيرا .

قلت : أغلب قادة البلد الأكاديميين شهادتهم غربية ، وأنت تعلمين قيمة الشهادة من بريطانيا في بلد كان محكوما لهم في يوم من الأيام ، فمن درس في أوروبا الشرقية وموسكو يتأخر عملهم في الحكومة والسفارات والوظائف العليا ، ولولا الحاجة اليهم كأطباء لما عملوا إلا في القطاع الخاص ، فكيف بمحامي ؟

قالت: إنهم يحصلون على الشهادات بالمال والواسطة وبالدخول في الشيوعية والبلد يرفض النظام الشيوعي والاشتراكي والفكر الإلحادي يا طارق!

قلت : فلنفكر في حياتنا من جديد ما دمت أنا المخطئ .

قالت: أنا أريدك ومتمسكة فيك ؛ ولكني قلقة من سفرك لبلد قضيت سنوات تكتب لهم من أجل قبولك.

حياتي الزوجية كانت كما يقال على كف عفريت ، الدراسة في الغرب أو الطلاق كنت أتعامل مع الوضع بهدوء وروية ، بعيد عن الانفعال ، ورمي يمين الطلاق، فهو لا يربطني بها إلا الحب والاختيار وعقد الزواج الشرعي ، فتحدثت مع صديق، من أهل العلم والمشايخ الدكتور غازي محمود دكتور شريعة تعرفت عليه أثناء دراسة الماجستير ؛ لأن في دراسة القانون مواد الأحوال الشخصية والمواريث ، وكان اللقاء في منزل الدكتور عن موعد متفق عليه ، وبعد حديث

ذكريات قصير ، شرح له طارق قضيته وكرهه للطلاق وبغضه له منذ رأى طلاق أمه وأخته وأثره على نفسيته ، وقصة الاختيار بين السفر أو الطلاق .

قال الدكتور غازي : إذن هي خائفة من الطلاق بعد سفرك ،وتريد أن تسبق الأحداث.

قلت : هي تظن أنني عندما أحط رجلاي هناك سأجد زوجة في انتظاري ، وأرى طابورا من بنات الإنجليز يرحبن لاختار واحدة ، وإني ذاهب لتحقيق حلمي أو كلام رددته قبل الزواج أمام شقيقتها أثناء دراستنا الماجستير، وإني مفتون بالعيون الزرق والشعر الأشقر ؛ وكما غيرت رأيي وتزوجتها ، سأفعل ذلك هناك.

قال الدكتور غازي : أتعتقد من داخلك أن هذا هو السبب فعلا ؟ أم هناك أسباب خفية أخرى، كعجزها عن الحمل ، وزعمت لك بأنها كانت تأخذ مانعا للحمل .

قلت : أنا صدقتها بفعل ذلك ، وكانت مفاجأة لي ؛ لأننا من البداية اتفقنا على الخلفة بكل راحة لم تأخذ موانع لولب أو حبوب حتى تفاجأت بأنها خائفة من الطلاق فأحبت تأخير الحمل ، ولم يحدث الحمل ، فشككت في نفسي فقمت بفعل عدة فحوصات بدون علمها ، وكلها بينت أنه لا مشاكل عندي للإخصاب ؛ ربما الإعاقة من الزوجة ، واعترفت أنها منذ تزوجنا وهي تتعاطى الحبوب ثم تركتها رغبة في الحمل.

قال الدكتور غازي : وهل حقا ستتزوج أجنبية اذا سافرت؟

قلت : لا ، انتهى موضوع الزواج من غربية منذ نكحتها ، وأنا عندي المرأة مرأة في كل البلدان خاصة من ناحية المعاشرة ، هي خائفة من تجدد هواجس الماضي ، وأنا محب للدراسة في الغرب لأهمية شهادتهم في بلدنا وغيره من بلدان العرب والمستوى الاجتماعي والاكاديمي ، وفرصة تكون للعمل الجامعي بشهادة أوروبية وأنت تعلم وزن مثل هكذا شهادة في بلادنا.

قال الدكتور غازي : نعم ، أعرف ، وأنت لا تستطيع أخذها معك .

قلت متسائلا : وهل أخذها يا دكتور يمنعني من الزواج والطلاق ؟ عندما يريد الإنسان تدمير حياته الزوجية هل يصعب عليه ذلك ؟! لكن وجودها معي يعني تكاليف أكثر وأنا لست غنيا

أعتمد على الله وعملي يا دكتور غازي! فالواحد ليس كاثنين ، ستمل سريعا من الوحدة خلال شهور ، وتحتاج لشم هوا ونزهات ، وستحن لأهلها أريد أن أزور الوطن أرى أمي وأبي، ستمل من البيت وحدها ، هي لم تفكر بمثل هذه التفاصيل والأشياء ؛ ولكني فكرت فيها ، هي تظن بمصاحبتي ستمنعني من الزواج عليها ، غير مصدقة أنني ذاهب للدراسة فحسب.

قال الدكتور غازي : هل ناقشت أمرك هذا مع أحد غيري؟

قلت : لا ، كنت سأناقش الموضوع مع شقيقتها سامية التي درست وإياها إنك تعرفها، درسنا معا ، وكانت السبب في زواجي من أختها ، ولا أدري هل هي التي رتبت الزواج أم جاء عفويا ؟!

قال الدكتور غازي : اذكرها ، وتتحدث معي هاتفيا حول بعض القضايا الأسرية والأحكام الشرعية والنفقة والميراث ، والتقينا أكثر من مرة شخصيا ، وهي سيدة فاضلة ومتزنة ، ولاحظت ذلك أيام الجامعة .

قلت : نعم ، وأنا زوج أختها منذ أكثر من أربع سنوات.

قال الدكتور: أنت لا تريد الطلاق ، وتريد السفر ، ألا تفكر بالبقاء هنا ودراسة الدكتوراه هنا من أجل بقاء الزواج.

قلت : استطيع البقاء هنا ، والدراسة هنا ؛ لكني غير مقتنع باعتراضها وتوجسها وأنا اليوم أرى أن الطلاق حاصل في أي لحظة ، ما دام الطلاق دخل البيت .

قال غازي : ليس شرطا يا طارق! هي خائفة من شيء ، قد يكون خوفها وقلقها في محله ؛ ربما هي تعرف صفات وأحوال فيها تدفعها لهذا القلق والاحتياط ولا اعتقد أن في حياتها رجل آخر يدفع بها للطلاق .

قلت : أنا شككت بذلك ولا أعتقده .

قال الدكتور غازي : لو أنك متدين يا طارق! ربما دفعها هذا للثقة بك أكثر.. الصلاة حماية للأسرة.

قلت مستغربا : وما دخل الصلاة يا دكتور بالطلاق ؟ كان أبي مصليا وطلق أمي !

قال الدكتور: ما يجري معك غير ما جرى مع والديك ، الصلاة تزرع الطمأنينة بين الناس الفرد والمجتمع ، بين الزوج والزوجة ، فالذي يكون متصلا بربه تزداد ثقته بنفسه ، ويثق به الآخرون ويقولون إنه يصلي ؛ لذلك تجد من يريد خداع الناس يتظاهر بالتدين.. أعد حياة الدين لبيتك.

قلت : وهل بذلك ستسمح لي زوجتي بالسفر وتتخلى عن الطلاق؟

قال الدكتور غازي : أنا لا أرى أن السفر سبب الطلاق أو طلب الطلاق ، هناك أمور أخرى لدى زوجتك.

قلت : فكرت؛ ولكني لم أجد شيئا بيننا.

قال الدكتور: قل لها إنك ستأخذها معك عندما تسافر ، وتستقر في تلك البلاد وترى الأحوال .

قلت : والمال يا سيدي !

قال الدكتور غازي : أنا سأسلفك ما تشاء من المال.

قلت : أوه يا دكتور هذا كثير !

قال الدكتور غازي : أنا واثق أنك ستسدها يا صديقي !

قلت : والموت! قال الدكتور: إن مت قبلي سوف أسامحك بها.

الصلاة

تفاجأت شادية بصلاة طارق وعودته لقراءة القرآن ويجهر بالتلاوة ، وشراء كتب الدين وتعلم الصلاة ، كانت تراقب ذلك بصمت فبعد العشاء قالت : ماذا فكرت بطلاقنا بالمعروف؟

قلت : لا أستطيع فراقك ، أنت حياتي وقدري حتى ولو لم تلدي ، هذا أمر الله وستسافرين معي إن شاء الله .

قالت: غيرت رأيك!

قلت : تيسر لي قرضا حسنا .

قالت: دين .

قلت : نعم ، وسأسدده على أقل من مهلي .. تيسر المال .. عليك أن تطلبي الإجازة من عملك فاذا بدأت الدراسة سافرنا.

قالت: والصلاة!

قلت : عدت إلى الله نصحني غازي بالصلاة قبل السفر والتوبة.

قالت: من غازي؟

قلت : صديق في كلية الشريعة ، درسني بعض مواد القانون أيام الماجستير ، تعرفه أختك سامية.. درسنا معا.

قالت: حدث أمر.

قلت : أمر ! ما هو؟

قالت: حدثت سامية عن طلاقنا والسفر ، فنصحتني أن أسمح لك بالسفر وحدك .

قلت : لا ، لا، إن شاء الله سنسافر معا ؛ لتثقي أنني ما زلت على العهد ومخلصا لك ، وبأنني لن أتزوج أجنبية ، وشكرا على نصيحة سامية ، وأنت رفضت حشرها في الموضوع ما الذي جد ؟

قالت: لا أدري من أخبرها ؟

قلت : أنا لم أحدثها بذلك ، وأنا فعلا تيسر لي المال الذي كان عائقا .

قالت: ممن ؟

قلت : من الدكتور غازي .

قالت: ما قصة غازي هذا؟

قلت : لا قصة ، ولا حكاية ، ذهبت أسأله عن حل لمشكلتنا فنصحني بالصلاة والتوبة قبل السفر وعرض عليّ المال لبقاء حياتنا الزوجية قائمة.

قالت: إنه رجل فاضل كريم!

قلت : نعم.

قالت: إذن سافر دوني ، أنا أعلم قدر حبك لي رغم كثرة أخطائي وشطحاتي ، أنت تغيرت بعد طلبي للخادمة ، واعتبرت نفسك مهزوما ، وأجرة الخادمة ؛ كما قلت كلها عليّ ، وأنا أراجع الطبيبات من أجل الحمل.

قلت : ستسافرين معي يا شادية !

قالت: سأزورك يا سيدي ! أنا واثقة من عواطفك نحوي ، وأثق بكل أفعالك هذه الأيام التي أعادت السكينة لنفسي وقلبي ، وأتمنى أن أكون أمّا لأطفالك.

قلت : وهذا يتطلب مرافقتي .

قالت: سأكرر زيارتك في كل إجازة تلوح لي ، وسأصلي مثلك .

قلت : جميل أن أسمع ذلك ! أفضل سفرك ، والعلاج هناك ميسور ، والمال تيسر بفضل ربي ؛ بل الرجل سامحني بها اذا مت قبله.

رن جرس الهاتف ، فذهبت إليه كما هو مرتب بينهم ، فكانت سامية ، وتحدثتا قليلا والتفتت إليه : سامية تريد الزيارة هي وزوجها فأذنت لهم.

قلت : حسنا يا شادية ! سأذهب وألبس ثيابي .

فطارق لا يحب استقبال زائريه بلباس البيت والنوم ، يستقبلهم بلباس الخروج، في أقل من ساعة كانت الأسرة تستقبل سامية وزوجها وطفلها الصغير ناصر .

قام الترحيب والعناق ، وجلسوا يتسامرون ودار الحديث عن الصحة والحال والطقس والأخبار الخاصة بالعمل والأهل ، ووضعت الفاكهة والمكسرات أمامهم ، وجرى الحديث عن قصة صلاة طارق وتوبته ، فشكر ربه ، وحدثهم عن زيارته للدكتور غازي ، مما أدهش سامية فهي تعرفه ، وذكرت سامية أنها تتحدث معه حول قضايا فقهية ، وزارته أكثر من مرة ، وقال ياسين لشادية : ماذا حدث في موضوع الطلاق؟

نظرت إليه بحدة ، ثم نظرت لسامية ، وخيم الصمت فقالت سامية : تحدثت مع ياسين في ذلك وأنك ترغبين بالطلاق بسبب رغبته بالسفر لبريطانيا ، وأحب ياسين الحديث معكم بهذا الأمر الخاص.

قال ياسين : لا تجعل سفرك سبب طلاقك ، يمكنك الدراسة هنا حتى لا تخسروا بعضكم ، وتجعلوا السفر سبب الفراق وقطع العشرة.

قال طارق بضيق : سنسافر معا يا أبا ناصر استلفت مالا لتكاليف الحياة في الغربة.

قالت شادية بصوت جاد وحانق : قلت لك لا داعي للاستلاف ، وأعد المال اذا أخذته للدكتور غازي .

قالت سامية : استدنت من غازي يا طارق!

قلت : الرجل من نفسه عرض عليّ ذلك حتى لا يحدث الطلاق.

قالت شادية : أنا ضغطت عليك لأعرف عمق حبك لي

قال ياسين : لا داعي للدين يا أستاذ طارق !

قالت شادية : سيسافر وسأبقى هنا في الانتظار ؛ فأنا أثق به.

قالت سامية : ماذا يقول السيد طارق؟

قلت لهم بكل هدوء : أنا قررت أن أطلقك يا شادية !ولن أسافر .

صاحت سامية : هل جننت؟

قلت : لم أجن ؛ ولكن حياتنا أصبحت بأيدي غيرنا ، اشهدوا أنني أطلق شادية أنت طالق !

وغدا نقوم بين يدي القاضي .. لا تبكي .. عندما أشرت عليك أن نشرك سامية في المشكلة ، رفضت واعترضت ، وقلت لا داعي ليتدخل أحد في حياتنا الخاصة ، ولما استشرت الدكتور ، واستعد لمساعدتي ماديا لتسافري معي قلت إني اختبرك.. فهل هذا اختبار ؟ فنحن معا من سنوات ، وخدعتيني بأخذ أقراص منع الحمل سنوات خشية الطلاق وضياع الأطفال؛ حتى ظننت أني مريض عاجز عن الإخصاب ، وعملت عددا من الفحوص ، فذهبت وتحدثت مع سامية عن رغبتك بالطلاق ، ونصحتك بعدم ذلك وعدم السفر فاستمعت لها أما أنا فزبلت رأيي وقولي .

وختم فقال : وهكذا يا أخ عزيز كان طلاقي من زوجتي بعد أكثر من أربع سنوات زواج .. وأحمد ربي أنها لم تلد مني ، وتربطني بها ذرية ، كما حصل بين سليم ونهى.



الأرمل عزيز

قال المهندس عزيز فارس: أنا لم تطلق أمي ؛ كما طلقت أمك ، وسني أكبر من سنك ، كنت ابن عشر سنين في المرحلة الابتدائية لما ماتت أمي بسبب مرض عضال أصابها ، وبسببه توقفت عن الحمل ، فكنت أصغر الأسرة مثلك ، أختي فايزة تكبرني بعامين ، وفايز الأول بأربع سنوات ، وكلنا تلاميذ عند موتها ، لم يكن فايز ذكيا ونشيطا في المدرسة ، كان يستصعب الدرس ، وكانوا يحثونه على الوصول لنهاية المرحلة الإعدادية ، لينقله أبي إلى مصنع أو تجارة وعلى أثر موت أمي تعقدت حياتنا المنزلية واضطربت ، ترك فايز المدرسة ، ولم يهتم أبي لذلك وألحق بمتجر لقريب لأبي ، لم يمكث فيه طويلا انتقل للعمل في تصليح السيارات ، كان مهووسا بالسيارات ويحلم بأن يكون سائق شاحنة كبيرة. البيت بدون أم صعب يا طارق حتى ولو مطلقة ، لم تكن فايزة مستعدة للطهو والغسيل والتنظيف رغم أنها كانت فتاة ناضجة وبالغة ، لم تكن مستعدة للقيام بدور الأم ، لم يمض شهور حتى كانت الأسرة تحتفل بزواج أبي ، لقد دبرت له أمّه زوجة جديدة من الأسرة الكبيرة ، ونحن لم نعرفها قبلا إلا عندما دخلت بيتنا ، في البداية كانت طيبة ومحترمة ، ولما تأخر حملها من أبي بدأت تحدث المشاجرات بينهما ، والحديث عن العلاج والعقم ، وتبين أن المشاكل لديها رغم أن أبي لم ينجب بعد ولادتي والسبب عجز أمي عن تحقيق ذلك بسبب مرضها ، امرأته لم تصدق أنها الضعيفة والعليلة ، فصارت تفتعل المشاكل معنا ؛ كأننا نحن العاجزون عن الحمل وسببه ، وتتهمنا بالإساءة إليها ، وعدم التعامل معها كأم جديدة لنا ، أول الأمر صدق أبي كلامها واتهامها ، ولما أخذ يسمع عن مشاكل فايز خارج البيت ، ويدخن ويشرب الكحول أدرك أنه أخطأ في ضربنا وتوبيخنا، وأصبحت الشكاوى تأتي من الجيران وبنات الجيران ، وعلم أن زوجته سببت انحراف فايز وضياعه ، صعب عليه الحال ، كان الوالد صاحب متجر في مركز وقلب المدينة لبيع الأقمشة المحلية والمستوردة ، كان شريكا مع ابن عم له. كان من نتيجة زواج أبي فساد ابنه الكبير ، وكثرة تغيبه ليلا عن البيت ، ومشيه مع أصحاب السوء ، وشاع خبر انحرافه في العائلة الكبيرة ، وبدأ والدي مصدوما من تلك الأخبار ،

وانفلات فايز ويحمل الزوجة جهرا السبب ، وإنها لم تحسن رعايته في مراهقته ، ويسبها ويصفعها ويتهمها بالتقصير معه ، حتى جاء يوم وأخبره أحد الأقارب أنه رأى فايزة تتمشى مع شاب غريب في أحد شوارع المدينة ، فجن أبي واعتدى عليها بالرفس والشتم ، وهي تحلف بأنها ما فعلت ؛ وإنما كانت مع إحدى زميلتها لحضور مسرحية ، وإن الشاب عاكسها وتحرش بها ، ولما تكررت الحادثة حرمها أبي من المدرسة، وأصبحت سجينة البيت ، وزوجته الرقيب والسجان . الزمن يمشي ولا يتوقف، وقبلت فايزة ترك المدرسة ، وهي ما صدقت ؛ لأنها لم تكن شاطرة ومجتهدة ، وطلب أبي من أمه وزوجته وأخواته أن يبحثن لها عن عريس ، فزواجها خير للجميع ، ولما يسألني أبي عن فايز ، أقول يرفض العودة للبيت ، وينام في الكراج الورشة التي يعمل فيها ، وإنه لا يرحب بالعودة ، وأرسل إليه أبي بعض الأقارب ليعود للبيت ، ويدع التشرد والنوم في الشوارع والمحطات ، وكانت الإجابة تأتي بالرفض ، ولن يعود وزوجة أبيه في البيت ، ويقول للشفيع غدا تتهمني بالاعتداء عليها لاغتصابها ، هذه امرأة لا أخلاق لها ، فيسخط أبي ويجن ويصرخ ويشتم ، ويرقد الموضوع لأيام أو أسابيع ، ثم يثور من جديد ، أنا الوحيد الذي أحب المدرسة والتعليم والشهادة ، وأتقدم بكل قوة في الصفوف وقبل الوصول لنهاية الدراسة تقدم أحدهم للزواج من فايزة ، وبعد عدة لقاءات وافق أبي ؛ بحيث كان العريس يمت بصلة قرابة لزوجة أبي ، قرابة بعيدة قالوا وكما فهمت ، ولما تجهزت العروس خلال أشهر رحلت لبيت زوجها في شارع بعيد عن شارعنا ، ولم يشهد فايز زواج أخته رغم تبليغي به ، ثم علمنا بعد زواجها بسفره للعمل في إحدى دول الخليج الصاعدة ، فقد أصبح سائق شاحنة فعلا كما حلم وخطط، ومرت سنوات دون رؤيته لأبي ، ويرفض كل صلح ، وكل يركب رأسه ، ومضت سنوات على تهاجرهما ، أكملت الثانوية ، ونجحت وإلى كلية الهندسة توجهت بالمعدل المطلوب ، وتيسرت الدراسة على نفقة الوزارة المختصة ، فخفف ذلك عن جيب أبي ، وكان أبي يحب نجاحي ، وفرح بذلك ويعتبرني الأفضل بين اخوي .

كنت أكره قعدة البيت يا طارق ! كنت أعود من الجامعة إلى قلب المدينة أتناول الغداء أو العشاء

وأجلس على مقهى العين الخضراء شارع البرق ، مقهى في الطابق الرابع من البناية ، أكثر رواده من طلبة الجامعات والمثقفين ، هو مقهى هادئ وجميل أنا لم أكن أحب لعب الشدة ، كنت أحب الفرجة والجلوس معهم ، واذا مللت منه أجلس في شرفة أنظر المدينة والناس ، وليلا أعود للنوم واذا سئلت عن الطعام أخبرهم بأني تعشيت في المدينة، نظمت الجامعة رحلات عمرة إلى مكة ، فسجلت فيها ، وباشرت الصلاة منذ سمعت عن رحلات العمرة ، والسبب زميل متدين وحركي اسمه عبد الرحمن وكان من أفضل زملاء الكلية ، وسعى لضمي للحزب الذي ينشط فيه ، واعتذرت له بلطف، وبعدم محبتي للسياسة ودهاليزها .

فقال : نحن نعمل لعودة الحياة الإسلامية الصحيحة إلى حد ما في المجتمع ، وأنت ترى الضياع الحاصل في الشباب ، البعد عن الدين يعني القرب من المخدرات والخمور ، المهم قبل العمرة اتخذت بالصلاة ، وأصبحت مهتما بالرحلة ، وحدثت الرحلة ، وكانت ممتعة ورائعة ، وتعرفت على مهبط الوحي في مكة والكعبة والمدينة مدفن سيد البشر محمد ﷺ . قبل انتهاء سنوات الجامعة مات فايز بتدهور شاحنته في رحلة إلى العراق ، ومات قبل أن نراه حيا في المستشفى ، ونقلت جثته لمقبرة العائلة ، ورغم الجفاء بينه وبين فايز كان أبي حزينا ، وقال لي : تمنيت أن أراه زوجا ، وعائدا للبيت طالبا العفو والصفح .. رحمه الله الرحمة الواسعة ، وقبل مرور أربعين يوما على الوفاة طلق أبي زوجته ، ولما سألته عن السبب ، زعم أنه بغضها بموت فايز ، وهي سبب فقده وخروجه من البيت وعن طاعته ، وفايز بكر أبي ، وأخذ يرغبني بالزواج قبل إنهاء الجامعة ورفضت هذا العرض والعروس التي تقدم لي بها ، فلما رأى رفضي الشديد تزوح هو من فتاة دون الثلاثين ؛ لتنجب له ، فهو يطمع بمزيد من الخلفة.

سعت مطلقته للعودة إليه ، ووعدته بالسلام والطاعة ، والتزام البيت ، فقد كانت كثيرة الخروج تبدأ من الجارات حتى تصل لكل نساء الحي ، فاخبرها بسعيه للخلفة ، وقد تعب من عجزها عن الحمل ، فهددته بتطليق ابنته من قريبها ، ولم يهتم أبي بذلك الادعاء ، أما أنا فتوقعت حدوث شيء ، فهي لم تكن حسنة الخلق معنا ، كان البيت وكرا للنساء فترة ما بعد الظهر. كم يدخل

عليها من النساء الكبيرات والصغيرات ؟ وكنت أتسأل عن سبب تردد كل هؤلاء النساء بيت الوالد ، ثم اكتشفت أنهن يأتين لتقرأ لهن الفنجان والبخت ويعرفن المستقبل ، تجمع شعوذة وقراءة الغيب والحجب السحرية ، ولم تكن تهتم على اعتراضاتي ، على دخولهن وخروجهن ، لم أحبها يوما يا طارق ! لكنها زوجة أبي ، وشعرت بأن لها دورا سيئا في هرب فايز من البيت ، وكانت تشتكيه كثيرا لأبي . وكنت أرى وأبرر ذلك بسبب الجهل ، وعدم التعلم إلا صفوفا محدودة ، تركت المدرسة مبكرا ، والعمل في البيت ، أخذت فايزة كلما تزور أبي تشتكي له من طليقته وتتدخل في حياتها ، وتفسد حماتها عليها ، وتحرض زوجها على الطلاق ، وستزوجه امرأة أحسن منها ، وإنها غلطت وتسرعت في تزويجه فايزة ، قابل أبي الزوج وحذره من طليقته ، وأنها تسعى لخراب بيته ؛ لأنه طلقها ، وراسلته ليعيدها إلى ذمته ضرة ، فلما رفض هددته بتطليق فايزة ، ومنعه من استقبالها في بيته ولا فضل لها بتزويجه ، وأعلمه أن امرأته الجديدة حامل بفضل الله . ولم تعد فايزة تستقبل تلك المرأة ، وتشجعت من قوة وموقف أبي ، وكان زوجها طيبا وجيدا وذا شخصية ضعيفة ، ولدت فايزة طفلين قبل هذه المشاكل ، ولكن المطلقة لا تهدأ ولا تمل ، كنت أسمع عن حركاتها للإفساد مما دفع أبي على إقناعه بالرحيل من الحي ، وسيتكفل ويدفع أبي له أجرة البيت الجديد ، ورحلت أختي من الحي إلى حينا ، وبيت قريب من شارعنا وأنا بدوري أنهيت خمس سنوات في الهندسة ، وعمل لي والدي حفلة تخرج تحدث الشارع عنها لأعوام قادمة ، دعا إليها كل العائلة والجيران وذبح الغنم ، وكان يوما مشهودا في الحي . الأعمال كانت تعرض عليّ قبل التخرج ، تعلمت الهندسة المدنية وكنت مبدعا في الرسم الهندسي .

تسلمت العمل في إحدى شركات الإنشاء والتعمير ، وحينئذ فكرت بالزواج بشكل جدّي ، معي دراهم وفلوس ، خلال الدراسة كونت علاقات مع بعض الفتيات المهندسات ، ولم أعد واحدة منهن بالزواج ، فكرت بالزواج من ابنة خالي عماد الدين ، كان لديه بعض الأوانس في تلك الفترة ، فحدثت خالتي فاطمة عن ابنة خالي الآنسة جيهان. شاورت شقيقها برغبتي بمصاهرته ، فرحب بذلك وطلب الجلوس معي والتقينا في مقهى عام ، فنحن منذ وفاة أمنا

ضعفت علاقتنا الاجتماعية بهم إلا في الحالات الضرورية أو الطارئة ؛ كموت فايز ، زواج فايزة أو مرض أبي بمرض أدخل فيه المستشفى، أكدت له رغبتي بمصاهرته ، وقد تحدثت مع خالتي فاطمة .

فقال: تحدثت معي عن رغبتك بجيهان ، المشكلة يا عزيز أن هناك فتاة أكبر منها عزباء ، ومن الصعب تقديم الصغرى على الكبرى ، أنت رجل محترم يتاجر بك وبما أن هواك مع جيهان عليك أن تنتظر حتى يتسهل درب بسيمة أو تتزوجها .

قلت بحيرة : لا أدري يا خال! أنا فعلا طمحت نفسي للزواج من جيهان ، ورأيت الأمر ميسورا لم أكن أعلم بهذا القانون ؛ لذلك دفعت خالتي للحديث معك حتى لا أسبب إحراجا لكم ، وأسمع ردكم.

قال : ردنا عليك.. نعم ابن الأخت .. فبسيمة أكبر من جيهان .. لماذا لا تأخذها؟

قلت: أنت تعلم أننا لما ترمل أبي ، لم نعد نرى بعضنا إلا في المناسبات الاجتماعية فظلت جيهان في نفسي من الصغر اذا قدر الله لي الزواج دون أخواتها ، هي تصغرني بسنة أو سنتين .

قال : سنتان ، إنها على مقاعد الجامعة بعد.

قلت: فالآنسة بسيمة على الرأس والعين يا خالي.

قال : هل تصبر حتى يأتيها النصيب؟

قلت بحيرة : كم سأصبر؟ شهر شهران سنة.

قال : النصيب والقدر هو الذي يحدد الوقت.

قلت: نخطب ، ونؤجل الزواج حتى تتزوج بسيمة.

قال : الخطبة الطويلة مزعجة يا عزيز!

قلت : نتزوج دون مراعاة السن .

قال : لا أريد أن أحرج بسيمة .. أجرح شعورها يا عزيز ! فلتصبر حتى يأتيها نصيبها .. أنا لا أزوج بناتي لأي عريس .. اصبر بضعة أشهر.

قلت بحيرة : حسنا ! سأصبر ستة أشهر يكفي.

قال : جيد يا ابن أختي! لعل الله يحدث أمرا.

قال : أرجوك يا عزيز لا تتحدث عن هذا الاتفاق لأحد ، وسأطلب من فاطمة الصمت ، وأشرح لها الأمر .

قلت: افعل ما تراه.

مضت الشهور الستة يا طارق ! ولم تتزوج بسيمة ، ولم أسمع بأي خطيب ، وتحدثت مع خالي وقال: الأمر لله يا عزيز ! إما أن تتزوج بسيمة ، وإما أن تبحث عن آنسة أخرى ، أنا عاجز عن تقديم جيهان على بسيمة ..اقبل عذري يا ابن أختي.

قبلت عذره يا طارق ، وخطبت فتاة عن طريق صديق لي ، وبعد فترة قصيرة حدث الانفصال ولم نكمل المشوار ، ولم تكن الزوجة المناسبة ، وخرجنا كما يقال بأقل الخسائر . وأثناء البحث عن زوجة جديدة تمكنت مطلقة أبي بإقناع زوجها بالزواج على أختي ، ولما علم والدي بذلك خيّر فايزة بالبقاء أو الطلاق ، فقبلت أن تبقى زوجة ثانية على الطلاق ، وتوقف أبي عن دفع أجرة البيت ، وأصبح جل وقتها في بيت أبي ، وبدأت المشاكل مع زوجة أبي ، مما اضطر أبي بتهديدها بالطلاق . وظلت المشاكل تعصف بين المرأتين ، وأنا أتلهف على الزواج للخروج من بيت العائلة لراحة النفس، استطاعت عمتي أن تجد فتاة تقبل بي ، وكانت فتاة تعمل مديرة مؤسسة خاصة ، خلال شهر كنت زوجا لمنال عبد الرؤوف ، سكنت في شقة في حي راق ، وكانت الفتاة جميلة وطيبة ونشيطة ، اعتبرت نفسي محظوظا بالزواج منها ، وإنني أحبها وتحبني وكانت تملك سيارة ، كما أملك أنا واحدة . ينطلق كل منا لعمله صباحا ، ونجتمع مساء قبل الغروب ، وبعد زواجي بوقت يسير دعيت لحفلة زواج ابنة خالي جيهان قبل زواج بسيمة .

كنت أتأخر في العودة للبيت لطبيعة عملي من مكان العمل إلى مكاتب الشركة لتقديم تقرير العمل اليومي وحضور الاجتماعات الإدارية . كان بيننا انسجام وتفاهم ، والأمور تسير بريح طيبة بفضل الله ، كنا نتغلب على أي صعوبة تحدث ، مضت نصف سنة بكل هدوء وصفاء ،

وبدأت تتعالج من أجل الحمل ، وقد أصيبت بالتهابات ومشاكل صحية ، أنا مثلك لم أكن أهتم بالحمل بأي لهفة ، تركت الأمر على أقل من مهله ، وتعرضت لعمل اختبار لمعرفة جودة المني وقوته ، وتبين أن أمري جيد ، والحمل سيتم بإذن الله ؛ فكان هذا الموضوع الحساس يعمل لنا بعض المنغصات ، حصل الحمل ، ولم يثبت حدث الإجهاض ، وارتحنا لحدوث الحمل نفسيا ، ولسوف ينجح مرة أخرى بعد حين. مضت سنتان ، ولم نوفق في تثبيت الحمل ، ورغبتها أمها بالطلاق ، وأنني مريض غير قادر على التلقيح والإخصاب مع أن المشاكل طبيا من جهتها ، تحمل ويفشل الحمل ، طلبت منها أن تكف أمها عن تنغيص حياتنا ، وسنعيش بدون ذرية ؛ كما يعيش ملايين الأزواج في العالم بدون خلفة. تهدأ الأمور حينا أسبوعا شهرا وتعود للفحوص والعلاج والأدوية دون فائدة، ثم حسمت أمرها ، وقالت : خلاص تعبت ، ليكن الطلاق بيننا يا عزيز! أنا فاشلة في الحمل منك ، ولن تكف أمي وإخواني من حشر أنفسهم بيني وبينك ، وأنت تعبت ، أقنعتها أمها بالزواج من رجل آخر ، وسيتحسن الحمل ، وأكد لي أحد الأطباء قائلا : ممكن هذا يا عزيز! الرجال يختلفون عن بعض ؛ كما تختلف البصمات ، القدر هو الفصل في ذلك ، قد يكون نصيبك عند امرأة أخرى . وذكر لي قصصا في ذلك ، ولما رأيت إصرارها ورغبتها ذهبنا للقاضي الشرعي وحصل الطلاق ، ودفعت مؤجلها رغم أنها سامحتني فيه ، وها أنا اليوم مثلك أبحث عن شريكة جديدة ، فالزنا والحانات لا تحل شهوة الرجل الشريف مثلنا!

زوجتي ابنة عمي

اسمي عمر تركت المدرسة صبيا ، ولحقت بالعمل مع أبي في سوق التجار ؛ حيث يبيع أبي الثياب والملابس الجاهزة الرجالية والنسائية للصغار والكبار ، وعدد كبير من العائلة الكبيرة وأصهارهم يعملون في هذه التجارة من زمن بعيد ، وكان المكسب جيدا ، والله بارك في التجارة كما نسمع ، حتى أن السوق اشتهر باسم العائلة فتعلمت المهنة وتشربتها من الصغر ، البيع والشراء والمفاصلة ، ولم أكن الوحيد الذي يعمل مع أبي ، فالمحل كبير والزبائن كثر ، فالمحل يحتاج لكثير من العمالة ، ومن يكبر منا يستطيع فتح محلا ودكانا لنفسه وحيدا أو شريكا في نفس السوق أو غيره ، فالدنيا واسعة ، والرزق على الله ، وعلينا المشي والسعي .

تزوج أخي الكبير محمد من قريبة لنا ، والدها يعمل مثلنا في السوق ، وانتقل للعمل مع حميه ؛ لأن ابنه ترك العمل مع أبيه لمهنة أخرى أو قل كره تجارة الملابس والثياب والقماش ، وتزوج أخي الآخر محمود ، وبقي يعمل معنا ، ووقف الدور عندي عند عمر ، وكنت وأتوقع أن يكون ذلك خلال العامين القادمين إن عشت فأخي محمد تزوج عند العشرين ، ومحمود نحوه وأنا قريب منها ، فبدأت أهيئ نفسي لهذا الحدث الكبير في حياة كل إنسان عاقل ، وبيت العائلة يكبر ولاحظت أن عمي فوازا شقيق أبي حسان أخذ يهتم بي أكثر من اللازم فأدركت أن العروس ستكون ابنته ، ويرغب بمصاهرة أبي شقيقه حسان ، كانت العائلة تفخر بتزويج بناتهم من نفس العائلة ، أما الذكور فيتزوجون من غير العائلة بدون حرج ، كانوا لا يحبون تغريب نكاح البنت إلا في الحدود الدنيا فتصلني الهدايا من البنطالات والقمصان عندما تعرض أول مرة ، قناني العطر ، فتأكد لي أني المرشح للزواج من إحدى صبايا العم ، وذلك من تقاليد العائلة الكبيرة .. أحب ذلك بصراحة ، كنت معجبا بنعيمة ، وكانت في الإعدادية البنات عندنا آخر صف لهنّ الثانوية العامة ، ثم الزواج ، ويتوقف التعليم وإن لم تتزوج ، فأكثرهن يصبحن سيدات بيت قبل الثامنة عشرة ، ونحن الذكور عشرون سن النكاح ، ولم يكن لديّ مانع من الاقتران بها ؛ لكن هناك اثنتان أكبر منها أو من سنها ، لدى عمي توائم واهتم بي أولاد العم أكثر من الطبيعي

ويدعونني لمشاركتهم الغداء وشرب الشاي أو القهوة في بيتهم ، كان اهتمامهم بشخصي بعد زواج محمود زائدا وبينا. مضت الأيام حتى أتى وقت الزواج ، وتحدثت أمي مع أمها، وانتقل الكلام للأب والعم ، وتيسرت أمور الزواج حسب ما رتب دون عوائق ، وحسب عوايد الناس في الزواج والأقارب ، نكحت ابنة عمي نعيمة فواز وفرحت بها ، وتعلمون لهفة الشباب إلى النكاح لغض البصر وحفظ الفرج ، وأحببتها كما يحب الرجل الزوجة وانقضى شهر العسل ، لم يكن شهرا فقط أسبوعا ، وفي داخل البلد، وصرت بعد صلاة المغرب في مسجد السوق أعود للبيت ، وأنا أسكن مع والديّ بيت العائلة في شقة في العمارة الخاصة بالعائلة ، وأصبح إغلاق المحلات من اختصاص أبي والعمال ، وبدا العم يشجعني على بناء بيت مستقل لي وللغد ؛ كما يفعلون والعيش مع ابنته دون والديّ ، ورحب والدي بذلك ودعمني بقطعة أرض سجلها باسمي ، كما فعل مع أخوي محمد ومحمود ، وخلال سنة كان البيت معدا للرحيل بدعم من عمي وأبي وأخوة نعيمة فواز، كان سخاؤهم واضحا ،ورحلنا للبيت الجديد .

كان الهم المزعج للعائلة كلها عدم حصول الحمل لنعيمة خلال هذه الفترة، فبدأ الإزعاج من عند أمي ، ثم حماتي وأبي وعمي ، وعملنا الفحوصات الطبية لمعرفة سبب التأخير والإعاقة ، فتبين أن السبب البنت ، وبدأت رحلة العلاج بين الأطباء والمختبرات ، والمراكز المختصة في علاج العقم ، ومشاكل الجهاز التناسلي انقضت خمس سنوات دون فائدة ، ودون حمل ، وأنا كلي شوق لرؤية ذريتي ، وكنت أتألم عندما تلد زوجة أخي محمد أو محمود وأخواتي وإخواني الأصغر الذين تزوجوا بعدي ، كنت أعيش في ظلام دامس ، أعيش في حسرة أريد طفلا كسائر الخلق ، اللهفة موجودة فيّ بقوة ، وبدا الهمس أن أتزوج امرأة أخرى أتزوج من جديد ، وأجرب حظي مع أخرى ، وهمست بذلك لنعيمة ؛ لكنها رفضت التفكير بهذه الفكرة ، وأن تكون ضرة ، وانتقل الكلام لأمي وحماتي وأبي وعمي والعائلة كلها ، وغضب العم وأعمامي من هذا الهمس وعاب القوم الزواج على ابنة العم حتى لو لم تلد ، وعليّ الرضا بالقضاء والقدر والنصيب واستقرار العائلة، وأنا أصيح ، وأصرخ في وجوههم أريد ابنا ، أريد أن أصير أبا ، فيقال لو كان

العوق منك أتقبل بتركها لك ، فأصبح الشرع سمح لنا بالتعدد ، الشرع هو الذي سمح لنا بالزواج ؛ ولأنها ابنة عمي فلتبق على ذمتي ، لا أريد طلاقها ، أريد طفلا ينادي يا بابا بابا.

****

أريد الطلاق بقوة ، وهم يرفضون بقوة ، تركت العمل مع والدي ، وبدأت بمحل صغير وحدي ، خلال سنتين كبرت المحل في سوق آخر ، أصبح عندي شريك في التجارة ، أهملت زوجتي لم أعد أقربها ، واعتبرت أن اللقاءات بها إهدار لما بقي معي من قدرة على الإنجاب ، شكت لأمها ، فطردتها من البيت ، أجبروني على ردها ، نتشاجر كثيرا ، كل وجباتي الغذائية في السوق ، حتى حرمتها من وجودي معها طوال يوم الجمعة ، كنت أخرج للجامع ولا أعود إلا في الليل ، فتضطر للمبيت عند أهلها خشية المبيت وحدها أو يسأ لسمعتها ، سافرت عددا من البلدان .

قال لي شريكي وهو من العائلة : يا عمر لك عشر سنوات في عذاب ، تزوج سرا ولما تلد زوجتك ضعهم تحت الأمر الواقع ، إما أن يقبلوا الطلاق أو التعدد.

ساعدني حسام وساقني إلى شيخ يعالج بالقرآن والطب الشعبي ، ورحب بنا الشيخ عبد الرحمن ووعد بالمساعدة على تحقيق الزواج ، وقال مشجعا على التعدد : لما تتزوج الثانية لسوف زوجتك الأولى تحمل بإذن الله .

قلت بحيرة : معقول هذا الكلام يا سيد حسام ! معقول تتأثر النساء ببعض

- ربما يحدث معها هذا التأثير .

لم أقتنع أن نعيمة ستحمل لما أتزوج عليها ، لنا عشر سنوات ، وقلت :سأحتفظ بها اذا لم تطلب الطلاق لعل فكرتك تصح يا مولانا .. هي لو لم تخضع لضغط العائلة لقبلت الطلاق .

استأجرت شقة بمعاونة حسام في حي شعبي ، واستطاع عبد الرحمن من تدبير زوجة فقيرة من عائلة مستورة ، وتزوجت على سنة الله ورسوله ﷺ . وولدت قبل ذكرى زواجي بسنة ، وغمرني الفرح ، وأعلمت أمي بأني صرت أبا بعد طول انتظار ، ولما علمت نعيمة بزواجي وأني خلفت

تركت البيت ، حدثت ضجة في العائلة ، وكنت متوقعا لهذه الزوبعة ، قابلت الأمر ببرود ، طلب مني أبي طلاق نعيمة ؛ لأنها لا تقبل أن تعيش ضرة ، طلقتها ؛ كما رغبوا وعدت للحياة في بيتي لأن نعيمة أخذت الكثير من أثاث الشقة ورحلت ، ولدت منى ابني الثاني ، وأصبح أمر منى مقبولا عند والديّ ، ولم تتزوج نعيمة فبدأت الشفاعات لعودتها ، وبضغط عائلي قبلت العودة ولكن بعد بناء شقة ثانية وساعدني أبي في ذلك للتعجيل بعودة نعيمة إلى شقتها التي ساعدني والدها بإقامتها ، تم البناء ، وانتقلت منى للشقة العليا ، وتزوجت نعيمة من جديد وعادت لشقتها ، وبعد فترة جفاء لانت وتقبلت الزوجة الثانية ، وتقبلت منى بيسر الضرة ، وكنا نأكل جميعا ، وفي الليل ليلة مع منى ، وليلة مع نعيمة ، ولما وضعت منى ابني الثالث حملت نعيمة ، وصدقت نبوءة الشيخ عبد الرحمن وأرسلت للشيخ هدية من نعيمة ، والحمد لله .. فاليوم عندي أربعة من منى ، واثنان من نعيمة ؛ حيث أمست أما بعد أن صرت أبا .



اختفاء أبي

قال طارق : صديقنا حمزة قصته مؤلمة أكثر منا ، وهو ضابط شرطة فاطلع على الكثير من تفاصيلها في ملفات الشرطة والادعاء العام.

قال عزيز : تابعت بعض فصولها في صفحات الحوادث في الجرائد قبل التعرف عليك.

تنحنح الرائد حمزة وقال : نعم ، الطلاق مأساة فعلا ، وسبب خطير لانحراف ضحاياه انحراف الأبناء ، وانحراف الزوجة ، وحتى الزوج .. قصتي بدأت وأنا طفل مثل صديقي المحامي طارق ولدت أمي فاطمة أبنائها الخمسة في حي البطن ، كان آخرهم حمزة عندما طلقها زوجها حسام براهم ، فاضطرت للرحيل إلى حي أبي حية في دار السلام ، فقد دبر لها شقيقها مالك بيتا فيه ، فهو من سكانه، ولما طلقت فاطمة زكريا لم تكن تملك من المال إلا مؤخر صداقها ، وكان عمر حمزة يومئذ خمس سنوات ، ولم يستطع أهلها تقديم الكثير لفقرهم وقلة المال بين أيديهم ، فاضطرت أن تعمل في بيوت الأغنياء كشغالة وخادمة في أبي حية وخارج أبي حية ؛ لأنها لما طلقت كان عمر ابنتها الكبرى سهيلة ابنة ثلاثة عشر عاما ، وهي طالبة في المرحلة الإعدادية وكان السيد الوالد كف عن النفقة على أولاده نسي أنه أب لخمسة آدميين .. وفي عام ١٩٨٠في هذا العام سيتخرج ابن فاطمة الصغير حمزة من كلية الشرطة كضابط ، وهو الابن الوحيد الذي استطاع اجتياز المرحلة الثانوية بنجاح ، واستطاعت والدته بحكم عملها كعاملة فترة من الزمن في بيت وقصر وزير داخلية أن تتمكن من إدخاله كلية الشرطة ، فلما لجأت إلى الوزير المتقاعد شفع وتوسط له في كلية الشرطة ، وقبل فيها بعد اجتياز الاختبارات والفحوصات اللازمة ، وها هو هذا العام على وشك التخرج.

ولم يوفق ابن فاطمة إياد من إكمال الدراسة وعمل في مهنة الحدادة ، وأما بناتها فقد زوجتهن قبل إنهائهن الثانوية ، كان زواج البنات في ذلك الزمن سهلا ، يتزوجن دون بلوغهن العشرين خاصة اللواتي لا يرغبن بالدراسات العليا ، ويرين تكوين أسرة أفضل من الوظيفة والشهادة ، في سنة ثمانين قد بلغت الكبرى حوالي ثلاثين سنة ، ولديها أربعة أطفال ، وكانت قد تزوجت

وهي ابنة خمس عشرة سنة ، وبعدها بثلاث سنوات تزوجت سالمة التي سميت على اسم والدة أبيها حسام براهم ، ثم تبعتها سلوى ، وواحدة منهن أخذها ابن خالها ، وما زالت تسكن في الحي ، أما إياد عندما بدأت الحكاية فقد بلغ الرابعة والعشرين ، ولم يتمكن من الزواج بعد .. عشرات مئات من البنات تطلق وترمل في الدنيا وهذا شأن يومي؛ لكن الذي جعل قصة هذه المرأة حكاية تكتب ، الأحداث التي ستقرأها في سطور هذه القصة.

حسام براهم تعرف على والد فاطمة السيد زكريا ؛ حيث كان يعمل مناديا للركاب والمسافرين إلى البلاد المجاورة في سيارات التاكسي ، ويعمل فراشا في مكتب السفريات الخارجية في مجمع كبير في المدينة لنقل الركاب ، ومن خلال عمله تعرف على فاطمة وأبيها وقبله الأخير زوجا لابنته بعد قبولها ، وكان ذلك في مطلع الخمسينات . ولما خلفت الخمسة جرى طلاقها ؛ لأن حضرة الزوج تعرف على أنثى شابة تاجرة تكثر من السفر لخارج البلد لشراء الثياب بسعر زهيد وبيعها في محلها، أغرته بالزواج منها ، ووقع وسقط في غرامها وهواها ، وقبلت الاقتران به اذا طلق امرأته ، وامرأته فاطمة قبلت أن تعيش ضرة على أن تبقى على ذمته ، ولم تنفع الشفاعات والواسطات لرده لعقله ، وحتى أن تعيش على ذمته وبجواره، ورفضت تلك المرأة حلوة بكر تلك الفكرة إلا طلاقها ، وأن يبقى لها وحدها ، والرجل كان مفتونا بجمالها وبقبولها له ، وحصل الطلاق وخرجت من بيت حسام ورحلت إلى أبي حية وسكنت فيه بجوار شقيقها مالك ، واضطرت للعمل في البيوت لتقوت نفسها وعيالها الخمسة .. قد عرفتم سبب طلاق فاطمة أم إياد ورحيلها لحي آخر ، والذي طور القصة عن المعتاد هو سكن الزوج في أبي حية بعد حين ، وشفع بعض أزواج بناته ، وبعض رجال الحي بالشفاعة له عند مطلقته للزواج من جديد ، وأنه مستعد لطلاق حلوة بكر ، ورفضت فاطمة العودة والزواج ، وأنها رفضت الزواج بعد طلاقها وله سنتان يحاول ويوسط دون فائدة ، وأعلمت المرأة الوسطاء بعدم حاجتها لرجل وزوج ، وأخبرت أنها لن تنسى أيام الطرد والبهدلة ، وتخليه عن النفقة على ذريته كل هذه السنين ، فله سنتان يتوسل ويشفع الناس ، وهذا دفع للتشاجر مع ابنه إياد، وطلبه منه الرحيل عن الحي،

وأخبر امرأته عن حياة زوجها في أبي حية ورغبته بمصالحة امرأته المطلقة ورغبته بطلاقها، فجاءت المرأة للحي وبهدلته أمام سكان الحي وأخذته لبيته في حي البطن قهرا ، وأغلقت الدار وأخذت المفاتيح ، ووعدت صاحب العقار بدفع الإيجار آخر الشهر .

وسبب هربه وسعيه للزواج من مطلقته فاطمة زكريا أنه عرف أن حلوة سيئة الأخلاق وشكا له بعض جيرانه من تردد بعض الغرباء عليها أثناء عمله.. حلوة كانت مطلقة قبل زواجها من حسام ، وطلقت لأنها لا تلد ، وطمعت بالزواج منه لتلد ، وقد أنجبت فاطمة منه خمسة ، وظلت تتردد على أطباء النساء والعقم خمس سنوات دون أمل في الحمل ، وحملت حساما لعدد من الفحوص ، وتبين لها أن لا مشاكل عنده ، ولكنها لا تقتنع بذلك ، واتهمته بالعجز والضعف ، وبدأت تنحرف وتتواعد مع الزناة حتى فاحت رائحتها في الحي ، وعلم الزوج بخياناتها ، ونشبت المشاجرات باستمرار ، ويترك البيت بالأيام والأسابيع ؛ حيث ينام في مكاتب الشركة ، ومرات في الفنادق الشعبية ، ثم استأجر شقة في أبي حية طمعا بالعودة لفاطمة وهربا من الحياة مع حلوة . ولما علمت بحياته في أبي حية ذهبت إليه ، وجرته لبيته الذي كتبه باسمه واسمها ، وقد تنازل عن نصفه لها ، ولما وصل الحي غافلها وهرب ، وذهب صباحا للمحكمة وطلقها غيابيا ، واختفى من الحي ولما بلغها طلاقه ، ما عادت تبحث عنه ، وأن عليها الذهاب للقاضي ؛ ليحدث بينهما الطلاق القانوني بعد الشرعي بعد أخذ حقها الشرعي من المتاع ومؤجل المهر .

****

غادر حمزة مكان ولادته وهو ابن خمس سنوات ، وتلقى سنوات تعليمه الأولى في حي أبي حية ولما تخرج أو نجح في الثانوية، بواسطة التحق بكلية الشرطة العربية ، ومنذ غادر طفلا لم ير والده ؛ إنما يسمع عنه القليل من الأخبار حتى تفاجأ من سنتين أن والده يسكن في الحي، وجاء ليعيد أمه إلى ذمته ، فصدم بل حذر أمه أن ترضخ لهذه الرغبة ، ولم ينجح حسام في مسعاه ، وخلال هذين العامين رفض الشاب اللقاء بأبيه والجلوس معه ، وشجع أخاه إيادا بكشف أمره

لزوجته حلوة ، وفعلا كانت عند حسن ظنه ، فأقبلت وقلّت قيمته ،وجرته لحي البطن ، وتنفس حمزة الصعداء ؛ لأنه عندما كان يراه في شوارع الحي ينتقل لمكان آخر ، ويتعوذ من الشيطان ، وكان يكرهه للمعاناة التي عانتها الأسرة من طلاق أمه ، ومن عدم صرفه عليه ومن كثر لعانات أمه عليه ، خلال السابعة عشرة سنة التي مضت لهم في الحي ، جاءت الأخبار لحمزة عن طلاق أبيه لحلوة طلاقا شرعيا ، وينتظرون الطلاق القانوني حسب تعاليم القانوني المدني من توثيق العقود الشرعية كالزواج والطلاق والوصايا والميراث .

كان من المتوقع أن يتخرج حمزة خريف هذا العام من الكلية كضابط شرطة ، ذات نهار طلب منه أحد المدرسين بالذهاب لمكتب عميد الجامعة الشرطية ، فدهش لهذا الطلب، وسمح له المحاضر بالخروج ، فزاد توتره ، وظن أن مكروها أو موتا أصاب أحد أفراد العائلة، دخل مكتب سكرتير العميد ، فلما رآه رحب به ، ودخل مكتب العميد يستأذن له، ثم أمره بالدخول فدخل وألقى السلام وأدى التحية العسكرية ، ولما أشار له العميد بالجلوس شاهد والده يجلس في الغرفة وبجواره رجل آخر ، فذهل وأصابه مغص وضيق.

قال العميد لما جلس الضابط له : مرحبا ملازم حمزة! أتعرف هذا الرجل ؟

رد وبدون أن ينظر إلى أبيه قال : نعم ، يقال هذا أبي.

قال : جاءنا يشكوك !

قال : يشكوني ،أنا لا أعرفه يا سيدي ! .. أنا من عشرين سنة لم أجالسه ، لقد طلق أمي وتخلى عنا وأنا ابن خمسة أعوام ، وهو يعلم كما شقيت أمي لتنفق علينا ، اشتغلت في البيوت ، ولم يرسل لنا مالا ولو أجرة البيت ملابس العيد مصروف .. بماذا يشكوني يا سيدي؟

قال : يزعم أنك اعتديت عليه ، ولا تساعده ماديا..

قال : هذه أول مرة يجمعني به مجلس منذ طردنا من بيته .. هذا يا سيدي الذي حاول ضربه شقيقي الأكبر ، ثم عرفت امرأته الثانية بهربه لحينا ، وجاءت وضربته أمام الناس، وأغلقت الدار ، وسلمت البيت لصاحب العقار ، وجرته معها ، وأسرتي لم تحضر المشاجرة؛ إنما سمعنا

بها من الجيران ، ولدينا عشرات الشهود.

قال العميد لحسام : أسمعت ؟!

قال متلجلجا :أنا لم أقل ضربني بيده يا سيدي ! انهم وزوا امرأتي عليّ ، وعرفوها بيتي، وأنا جئت مع هذا السائق المحترم ؛ لتصلح بيني وبين أولادي.

قال العميد: هذا يا سيد مكان دراسة ، كان الأولى بك أن تذهب لمركز شرطة أو محكمة.

ضغط على جرس والتفت للضابط قائلا: اذهب إلى محاضرتك.

دخل السكرتير فقال له العميد : فليذهب الحارس بهذين الرجلين لباب الكلية وقال لحسام : الرجل الذي أرسلك إلى هنا جانبك الصواب وسخر منك مع السلامة.

***

لما التقى حمزة بصديقه في الكلية نائل قال : أصحيح ما انتشر بين الطلاب عن مجيء أبيك المجهول لك منذ طلقت أمك كما أخبرتني يوما يشكوك للآمر للكلية؟!

قال باسما : نعم ، أرأيت الوقاحة يا صديقي ؟! بعد أن رمانا في الشارع جاء يتسول عندنا ، إنه خبيث .

قال : إنه أبوك !

تنهد وقال : هذه المأساة يا نائل !

بعد ظهور السيد حسام في كلية الشرطة بأيام علمت الأسرة أن زوجة أبيهم رحلت لحي أبي حية ، واستأجرت نفس دار حسام زاعمة أنها تنتظر عودته ؛ لأن المحكمة أجلت النظر في طلاقها لاختفاء الزوج ، وعدم حضوره جلسة المحكمة ليبت في دعوته بالطلاق منها ، وأعلنت أنها أجرت بيتها.

فكان سلمان يتحدث مع إياد حسام في مقهى الحي قائلا : ولماذا جاءت لتسكن هنا وهي التي أخرجت زوجها غضبا منه ؟!

تنهد إياد بأسف وقال : الله يستر يا عم سلمان ، هذه المرأة سيئة ، أعرف عنها سوء الأخلاق قبل

أن أعرف أنها زوجة أبي ، أنت تعلم أن أبي تزوجها بعد ما طلق أمي ، ورحلنا من حي البطن ولم نره منذ ذلك الزمن ، ولم يحاول أن يرانا وينفق علينا إلا لما زهق من فجورها ، وفاحت ريحتها بين الجيران ، وأنها تمارس الدعارة ، وسكن في حينا هذا.

فقال أبو مالك : لقد علمت قصتكم بالتفصيل منذ رحلت أمكم لهنا ، وخالك مالك صديق لي .. لا أحد يدري لماذا رحلت إلى هنا؟!

ـ نحن كشفنا أمر أبي لها لتأخذه إليها وإلى بيته ، فالبيت هو الذي امتلكه وصاحبه ؛ لكننا عرفنا من زوج أختي أنه تنازل عن نصفه لها لما تزوجها.

قال هازئا: قال وقع في حبها

ـ سمعنا هذا من أمي ومن خالي وجدنا الحاج زكريا ، لا أعلم ما هذا الحب !

ـ أمك أم صابرة ومجاهدة ، ربتكم بكدها وتعبها وصحتها .. المهم كونوا على حذر ، لم تختر هذا الحي منتظرة عودة أبيكم ..أبوكم لما سكن هنا كانت تظن أنه مسافر مهاجر كما زعم لها ، وهي غير مهتمة به وصدقت الزعم ..هي لها دكان ملابس في حي البطن .

قال : سمعنا يسمونه اليوم نوفتيه .

ـ صحيح ، والكلمة الفرنسية يا سيد إياد ! ويقصد بها محلا صغيرا يبيع ملابس متنوعة.. ألا أخبار عن أبيكم ؟

ـ منذ ذهب يشكونا في كلية الشرطة لم نعرف عنه شيئا.

وقص مختصرا قصة كلية الشرطة ، استغرب سلمان هذه القصة وقال : الناس تشكوا في المخافر والمحاكم.

ـ هذا ما حدث وطرد شر طردة من مدير الكلية .

فقال سلمان : مجيء هذه المرأة إلى هذا الحي وراؤه أمر ما يا إياد احذروا القرب منها ..ألا تعلم مكان اختفاء أبيك ؟

هز رأسه نافيا معرفته بمكانه وقال : طوال سنوات مكثه هنا كانت تظن أنه مهاجر إلى أوروبا

كما تخبر وكما شاع ، لما نقلنا لها خبر حياته في أبي حية دهشت.. وقبل أن أطرق بابها أخبرني صاحب بقالة قريب من بيتها أنها امرأة سيئة وفاجرة ظن أنني أحد زبائنها .

صاح سلمان : تمارس الدعارة في بيتها !

ـ هذا ما فهمته من البقال ..وأنا لم أقل لها أنا ابن من ؟ أخبرتها بسكن زوجها من الباب ، ولم ادخل

ـ نعم، أحسنت بهذا التصرف.

ـ لكن لما عرفت ذلك عنها ولما قابلت البقال وأنها امرأة أبي صدمت يا عم أبا مالك!

فقال : لماذا ؟!

قال : تذكرت أني دخلت الحي قبل سنوات وإلى ذلك المنزل .. كنت أعمل مع شاب يتردد عليها للبغاء والزنا ، وكان يحدثني عنها ويراودني لمرافقته إلى دار الخيانة ، فذهبت معه لتصليح خزان ماء مخروم في منزلها .. تخيل لو طاوعته في فجوره ، ثم اكتشفت أنها امرأة أبي لما طفح الكيل ومضايقته لأمي ولنا وللبنات !

قال: تزوج يا إياد ! فالزنا فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، فأنت سمعتك ليست على ما يرام

قال بحزن : إنك تذكر لما عشت فترة في اليونان تعلمت الفجور ، ولا تنسى طلاق أمي وبؤسنا يا أبا مالك ، فوقعت في الشراب والبنات ..

ـ لكنك اليوم تعمل، وعليك بالزواج خذ بهذه النصيحة يا ولدي خلينا نسمع عن أخلاقك الحسنة.

فكان الشيخ سلمان كلما يصطدم بإياد في مقهى الحي يتحدث معه حول والده وزوجته التي تعيش في الحي فقال ذات مساء: ما بال امرأة أبيك تستقر هنا لتعيش في شقة أبيك المختفي ؟

ـ نحن مثلك مستغربون لقد علمنا أن أبي طلقها غيابا وهرب بعدما بهدلته كما تخبر قبل شهور مضت .

قال: ألم تطلقها المحكمة؟!

ـ بلى ، لا تطلق تماما حتى تقر باستلام حقها بالكامل بلقاء أمام القاضي وقيل إن الطلاق معلق قانونيا حتى يمتثلان أمام قاضي التطليق، أما لماذا جاءت للحياة وفي نفس شقة أبي ؟! لا نعلم وهذ يحيرنا ولا اتصال بيننا .

قال بفضول : كيف تعرف عليها والدك ؟

قال إياد بعد ضحكة قصيرة : ذكرت لك قصة طرد أمنا المسكينة الفقيرة كان بسببها، أبي كان يعمل مناديا للركاب في السفريات الخارجية في شركة سفريات المحيط في منطقة غاية ومراسل أيضا في مكتب الشركة ، فتعرف على والد أمي وتزوج ابنته على سنة الله ورسوله ، وكان له بيت يملكه في بطن امتلكه قبل الزواج ، وعاشا بسعادة ، وولدتنا الخمسة في بطن ، كانت حلوة بياعة ، وتسافر لشراء ملابس داخلية خاصة بالنساء ، فعرفها من كثرة سفاريتها ويساعدها في التحميل والتنزيل ، فصار بينهم كلام ومعرفة ، وللسيدة محل بيع دكان ملابس كانت متزوجة عندما عرفها أبي حسام، فلما طلقت صار لها اهتمام أكثر بأبي ، ولها شريكة في الدكان ، وكان أبي يمازحها أثناء التحميل والتنزيل ، وتقدم له البقشيش بسخاء ، وقع في هواها واشتهاها ، لابد أنها أوقعته في غرامها ، وصدق أنها تحبه ، وهي غنية ، وتعمل ، وهي مطلقة، أقنعته بالزواج منها وشرطت عليه طلاق أمي ونصف الدار ، وصدق ونفذ شروطها وتزوجا وطردنا من بطن.

قال : كيف اقتنع بها؟

قال إياد : لما رأت لهفته نحوها ، قالت تتزوجني يا حسام ما دمت أنا حلوة في عينك أنا مطلقة من فترة.

قال : عندي امرأة وأولاد يا حلوة ! هذا تحدث به مع خالي مالك وهو يشفعه للزواج من أمي

قالت : أنا احلى منها وأنا معي مصاري وفلوس.

تكرر هذا العرض ، فوقع في شبكة المطلقة ، فطلق وطردنا حتى لم يقبل أن تعيش والدتي في الحي في بيت مستأجر ، رفض ، وأخذنا صاحبك الخال وعشنا وكبرنا هنا ، وتزعم للجيران

بدخول الزناة على بيتها أنهم تجار تعقد معهم صفقات ملابس، وتبين للجيران أنها صفقات زنا .

قال : أمر مؤسف يا إياد !

قال إياد : مؤسف جدا ! ولما تقاعد تظاهر بالسفر لليونان وسافر إلينا رغبة بالعودة لأمي ورفضت بقوة ورفضنا ، فاضطررنا لفضحه ليخف عنا وعنها ، وطلق واختفى.

قال السيد بهزة رأس : سنعرف سر الرحيل.

قال إياد : نحن سنرحل من الحي اذا لم ترحل ، سنرحل بعد تخرج حمزة ، نحن نحب السلام

قال: كما نصحتك دائما تزوج ودعك من الهمالة والشراب ريحتك ظاهرة يا إياد

قال إياد : سقطت للأسف في الرذيلة ، وافكر بنصحك ونفسي بكل قوة

نهض سلمان داعيا له بالتوفيق: وفقك الله ها هو الشيخ سمور يتنحنح لرفع الآذان صافحه ، وانتقل إياد إلى طاولة الشلة وغادر أبو مالك المقهى متوجها للجامع ولما أصبح خارج المقهى كان رجل أشيب قد ترك تاكسيا يقف على الرصيف يتلفت شمالا ويمينا ، فلما رأى سلمان صاح : يا أخ يا أخ ، فالتفت سلمان وقال :نعم ، نعم أيها السيد

قال الغريب : هذا جامع حي أبي حية .

ـ نعم ، ولا يوجد غيره

قال : شكرا ، أنا عائد للوطن ، لي أخت كانت تسكن في بطن ، ولما وصلت شقتها قيل إنها رحلت لأبي حية ، وهناك مقهى بجنب الجامع يمكنهم إرشادي لبيت حلوة بكر شقيقتي .

ـ حسنا من أنت ؟

قال : أنا حامد بكر

ـ أهلا أخوك سلمان مالك.. من أختك قلت؟

قال : حلوة بكر وزوجها حسام براهم

قال : آ .. انتظر

رجع المقهى ونادى إيادا وحدثه عن المهاجر وقال : هذا شقيق زوجة أبيك يريد بيتها

تصافح الرجلان : هذا الشاب سيدلك على شقة أختك سيد حامد بكر.

ودخل المسجد وساقه إياد إلى شقة حلوة بصمت ، وأشار لشقتها ورجع للمقهى سريعا ،وقد رآه يطرق باب بيتها.

****

لاحظ وأدرك حامد خلال أيام أن شقيقته مستاءة من وجوده معها ، وكررت أكثر من مرة تحثه على الرحيل والعودة لمهجره على غير مرات سابقة في حي بطن قال مرارا : أين حسام ؟ ولماذا رحلتم من شقتكم وتسكنون بالإيجار ؟

صرخت : تطلقنا!

قال : تطلقت، لم تقولي منذ جئت ! ومن الرجل الذي زارك تلك الليلة قرب نصف الليل؟

قالت : تاجر

فقال : شكله أزعر وهامل .. تاجر في نصف الليل وسكران .. أين حسام؟!

قالت: هجرني منذ عامين يا حامد! ثم قدم طلب طلاق للقاضي غيابيا ولم اذهب للمحكمة

قال: ولماذا أجرت بيته؟!

أجابت في ضجر وملل: البيت مشترك ، كان من شروط قبولي له بعدما طلق امرأته نصف البيت وله سنتان مختفي من حياتي وظننته مهاجرا مثلك ، ثم عرفت بعد سنتين أنه يعيش في هذا البيت يسعى للزواج من أم أولاده من جديد ، وأنا هنا لأن مطلقته وأولاده يحيون هنا فرحلت أتابع الوضع.

قال : المرة الماضية لما جئتك من أوروبا شجعتيني على البقاء والاستثمار هنا وقلت : كفاك غربة .. المرة تطلبين رحيلي .. أمورك غير طبيعية ، أنا أخوك على استعداد على مساعدتك

قالت: أعرف أنك أخي .. المشاكل تعصف بي بهرب زوجي الغادر.. تظاهر أنه هاجر وكان يسكن في هذه الشقة ، وله سنتان يطارد فاطمة مطلقته ، وترفضه هي وذريتها حتى كشفوا لي

اختفائه في حي أبي حية فأخذته عنوة لبطن ، فهرب من جديد بعد أن دخل على القاضي وسجل طلاقي واختفى ، فجئت لعله يظهر ونخلص

قال: اسمعي المرة الماضية قبل سنوات سمعت عنك أخبار سيئة لم أصدقها ظننتها وشايات ، أما زيارة الليلة فدعتني أصدق ما قيل ، فالزائر ليس على هيئة تاجر وبياع هيئته هيئة مجرم وحشرة.

صاحت: حامد لا تتدخل في شأني وحياتي حتى ولو صحبت حمارا .. ماذا تفعل أنت في أوروبا لا زوجة ولا أولاد ؟

قال بهزء : اشتغل

صرخت : أتريد أن أصدق أنك لا تسكر ولا تقرب النسوان

قال : لو حصل ليس عندي زوجة أخونها .. أنت لك زوج محترم يحتاج لاحترامك

قال : عندما يحترم شرفي أحترم شرفه وسمعته

ضحك قليلا : أتريدين أن أصدق أن حساما يصاحب النساء إنه رجل بسيط وغلبان

قالت: متى ستسافر؟

قال : لما أقابله سوف أسافر

قالت : له زمن مختفي ، لا أعلم في أي بلدة مختفيا!

قال: سأبحث عنه ، وأعرف الحكاية، كان مجنونا ومغرما بك عندما تزوجك

قالت : تغير

قال : سبب التغيير

قالت : المهم تغير ، لا أعرف السبب

قال : لابد من سبب

قالت : لا أريد أن تعيش في بيتي.

قال : سأستأجر شقة في الحي ، وكلمت صاحب المقهى في ذلك ، لست حريصا أن أعيش معك

مع أختي .

حدث أمر قبل رحيل حامد ، استيقظ ذات ليلة عند الثانية صباحا متحفزا ومنزعجا على صوت طرق ضعيف على باب الشقة ، فقام حامد وشق ستارة النافذة ، فأرخى أذنيه وسمع أخته تمشي في الممر ، وتفتح الباب ببطء وتهمس مرحبة بالتاجر الذي زارها من أيام ، لم يدخل الرجل الشقة ، خرج الرجل للشارع حيث كانت تقف سيارة نقل صغيرة أمام بوابة العمارة ورأى التاجر يتحدث مع سائق السيارة ، وأخذا يحملان صناديق كرتونية إلى داخل الشقة لمدة نصف ساعة، اقترب من الباب بعد توقف حركة الإدخال ، وسمع الرجل يطلب البقاء معها ساعة زمان ، فهمست أن حامدا نائم لم يرحل ، فقال متى سيرحل؟ لماذا لا نتزوج ونخلص من لقاءات الخفية ؟ ألم يطلقك حسام اذهبي للمحكمة وتطلقي ؟ لم يسمع ردها ، وسمعه : علينا أن نتزوج .. ألسنا نحب بعضنا ؟ أنا مشتاق لك اذهبي للقاضي.

قالت : أنا سأبحث عنه واحضره للقاضي يا عيني!

سمع غلق الباب ، فعاد للنافذة ، وشاهده ركب السيارة ، ويبتعدان، عاد للفراش يفكر بفساد أخته وفرار زوجها وقال : أكيد أنها بضاعة مسروقة! من أين يسرقها هذا الحرامي؟ قالت: إنه لا يعمل .. سرقة مصنع .. ماذا تستفيد من الشراكة مع لص ؟ عليّ معرفة هذا الرجل .

****

الحداد إياد يقف على باب المقهى والجامع منتظرا المهندس بلال وكان الحاج سلمان يغادر المقهى لصلاة المغرب فلمح إيادا فقال مداعبا وداعيا : هل ستدخل للصلاة؟

تنهد إياد : يا الله ليتني أصلي!

قال : لماذا يا ليتني ؟! ادخل مرة مرتان تتعود

قال : إن شاء الله يا عم سلمان أنا أترقب المهندس بلالا بيننا موعد.. ها قد ظهر

تقدم المهندس منهما مسلما ومصافحا قائلا : خير أيها الشباب

ضحك سلمان: أدعو صديقنا إيادا ليجرب طعم الصلاة، اليوم يكثر تردد الشباب والفتيان على

المساجد، لم تعد تقتصر على الكهول والشيوخ

قال : إن شاء الله لما أتزوج أصلي كما نصحتني.. سوف أتوب .. التوبة حلوة نلتقي بعد الصلاة يا باش مهندس أبا محمد.

قال سلمان : آه من سوف !

قال بلال : حسنا لن نلتقي في المقهى ، في فناء الجامع .. وكيف حال العم سلمان شيخ شباب أبي حية؟

قال : والله أنت نوارة الحي وصهر حبيبنا أبي خالد

دخلا المسجد لصلاة المغرب الذي ارتفع آذانه لعنان السماء مناديا أهل الصلاة ليقوموا للصلاة

قال بلال : للأسف كثير من الشبان يظنون أن الجوامع والصلاة لكبار السن يا عم أبا مالك

قال : صحيح ، بدا الأمر يتغير وصرنا نرى الشباب مثلك في المسجد وحتى الأطفال

قال : تأثر الناس بالصحوة ، ولها تأثير وأنصار في الجامعات والأحياء .. هزيمة ١٩٦٧ قضت على القومية واليسارية ، وضعف صوتهم ، لم ير الناس البسطاء خيرا من القومية والشيوعية حتى بدأت تتسرب أنباء أن الاتحاد السوفيتي يعاني اقتصاديا وسياسيا .

قال : الغرب يضغط لموته بشدة وبكل قوة ، فحرب النجوم وعسكرة الفضاء مخيفة .. الله يجعل كيدهم في نحرهم.

خرج الناس من الجامع بعد الصلاة ، ودخل إياد للقاء المهندس، فوجده ينتظره على مقعد حجري في ساحة الجامع حيث يستريح عليها كبار السن للاستراحة أو الحديث رحب بلال بإياد فقال : جئت من أجل الحديد

قال : نعم ، تكلم معي شريكي زاهر مخبرا أن المهندس محمودا تحدث معه عن أبواب حديد وطلب مني أن اتصل أو أمر عليك

قال : أنت تعلم أن محمودا قريب لزاهر

قال إياد : عرفت ذلك ، وعملنا لبيته شغلا وقدمت إليك لمعرفة العنوان

قال : جيد! سأعطيك عنوان الفيلا ، غدا إن شاء الله تعالى قبل الظهر سأكون فيها وعليك بأخذ المقاييس ، ثم نتفق أو تتفاهم مع شريك زاهر مع محمود

قال : حاضر يا سيدي أبا محمد

ذكر له عنوان الفيلا التي بحاجة لحمايات وأبواب معدنية وشكر الشاب المهندس فقال بلال: أراك غدا إن شاء الله قبل المغادرة ماذا حدث مع والدك ؟

ضحك إياد : لما رجع لبيته عاود الهرب ، فامرأته غير شريفة ، فطلقها غيابيا ، واختفى فأجرت امرأة أبي البيت ورحلت إلى هنا طمعا بأن يعود إلينا ، وها هو أخوها المهاجر يسكن معها ، وعلمنا أنه يبحث عن شقة في الحي ، وتفكر بالزواج من الحرامي السابق مهراوي

قال : سمعت أنه ذهب لكلية حمزة يشتكيه ، ويطلب مساعدة مالية.. هو يبقى أبوكم مهما فعل الإحسان مطلوب .. هو كيف يصرف وينفق؟

قال إياد : هو متقاعد له دخل من صندق التأمين الوطني الاجتماعي، وله بيت ، ولكن هذه أخذت نصفه باسم الزواج ، هو لما تركها أول مرة وسكن هنا لم يطلب منا مساعدة.. جاء هنا سعيا للعودة لأمي فرفضت ، ونحن شجعناها على ذلك ، وهي تعقدت من الرجال ، ورفضت الزواج قبل أن يأتي أبي للحي ، تفاجأنا بذهابه لكلية الشرطة بطلب مساعدة ، وحمزة ما زال طالبا ، وطلب منه آمر الكلية أن يتجه للمحكمة ويطلب نفقة ، حمزة لا ينفق فلسا علينا أنا أنفق على أمي وعليّ الفواتير والإيجار فحسب

قال بلال : المهم البر ولو كان الأب كافرا ، ألم تعرفوا لماذا رحلت إلى هنا حقيقة ؟

قال : هذا لغز ! سيكتشف قريبا ؛ ربما عودة أخيها خربط المخطط ؛ ولكنه سيترك الشقة ويعيش وحده ، فبيتها بيت للحرامي مهراوي ، قبل ليالي أزعجت سكان العمارة قبل الفجر لقد ادخلوا صناديق كرتون ، ثم تبين أنها أحذية مسروقة من أحد المصانع أو غير مسروقة ، لم يتضح الأمر وهي لها محل في البطن وآخر وسط البلد ، هي طول عمرها بياعة ؛ لكنها تعمل مومسا ، وكما تعلم هؤلاء البغايا مع التقدم في السن يهجرن من الزناة ، وهن في الكبر يدفعنا للغواية ، فهذا

المهراوي الحرامي السابق يرغب بإعلان الزواج منها ؛ ولكنها ما زالت على ذمة أبي لم يحصل الطلاق كاملا ، فهم يبحثون عن والدي ليكتمل الطلاق كما قال لي مهراوي فأنا أعرفه قبل أن يظهر هنا ، تريد الطلاق رسميا حتى يصح العقد عليها

قال : هداها الله يا إياد ! أتمنى أن أراك في مسجدنا

قال : أتمنى أنا نفسي ذلك

قال : اقدم على الخطوة الأولى وسترتاح

قال : العم سلمان دائما ينصحني بالزواج والصلاة انتظر تخرج حمزة.

أصبح حمزة حسام ضابط شرطة ، وأقامت كلية تخريج ضباط الشرطة حفلا للخريجين ، وتخرج الفوج الجديد من طلبة الكلية الشرطية بعد أربع سنوات دراسة شرطية ، واحتفلت فاطمة زكريا في شقتها وحيها بتخرج ابنها حمزة كضابط شرطة في الشرطة الجنائية ، وقدمت الحلوى والمشروبات للجيران وأصدقاء وأقارب العائلة.

وبعد إجازة التخرج عين برتبة ملازم أول في دائرة شرطة شماليا في شمال البلاد ، لم يتعين في العاصمة كما كان يأمل .

البضاعة التي سرقها مهراوي وخزنها عند عشيقته حلوة بكر في حي أبي حية ، شاع أمرها في الحي ، وشاهد حامد بكر الضيف القادم من أوروبا تلك الصفقة ، فاسرع بترك الشقة بعد أيام حيث وجد شقة يعيش فيها ريثما يقرر السفر أو البقاء في الوطن ، وقد استطاع معرفة مصدر ومكان السرقة ، فقد عرفت الشرطة أن الحارس الليلي ساعد في سرقتها من مخازن المصنع والشركة ، وقبض على مهراوي والحارس جرور وقبض على السائق بعد مطاردة شرطية وكذلك التاجر الذي تلقى البضاعة من الحرامية ، وهم ينتظرون المحكمة.

*****

كان أحد الرعاة يرعى في واد السعدانة قرب مدينة شماليا عندما شاهد أحد الكلاب يجري نحو جسم فظن في أول الأمر أن حيوانا قد هلك ، وأن رائحته هي التي تعبق المكان ، فمشى حيث

ينبح الكلب، فوجد جثة إنسان ميت ، ووجده مطعونا بسكين عدة طعنات فعاد لأول مدينة أو قرية مسكونة ، واتصل بالشرطة وتبين للشرطة أنها جثة حسام براهم ، وأن القتل منذ عهد قريب ، وتبين أن القتيل والد زميلهم الجديد حمزة حسام ، وكلف حمزة بالمشاركة في التحقيق ، المشتبه الأول في جريمة القتل أقرب الناس للضحية ، أجرت الشرطة التحقيقات الأولى ، وتتبعت الأيام الأخيرة من حياته قبل مقتله ، تبين لهم أنه يسكن في شارع ندى في مدينة شماليا الشمالية ، كان يعيش في بيت هالك وحده ، وقريبا منه ابن عم له اسمه حميد الدين وعلموا أنه كان في المستشفى مريضا ، وأن ابنه ايادا زاره باتصال من حميد ومن حسام نفسه رغم سوء علاقاته مع أولاده الذين يعادونه ، وذكرت التحقيقات زيارته قبل سنة لكلية الشرطة ، وتبين للمختبر الجنائي أن القتل تم بالخنق والطعن ، ونقلت الجثة إلى واد السعدانة .

اخبر إياد أنه تلقى اتصالا أثناء وجوده في المقهى من قريب أبيه أولا، ثم اتصال من أبيه ، وزاره مريضا ، ووعده بزيارة أخرى لما يخرج من المستشفى ؛ ليتعرف على مسكنه .

اشتبهت الشرطة بحلوة الهارب منها حيث علمت الشرطة بزيارتها له ، وتحدثت معه على الطلاق في المحكمة ، وأكد حميد الاتفاق على ذلك ، وأنها كانت تبحث عنه منذ هرب عنها ، ولم تعرف مسكنه وخرج دون معرفتها ، فأخلي سبيلها دون توجيه أي اتهام ، ولكن أحد الجيران كشف أن امرأة زارته قبل اختفائه .

انتقل حمزة إلى بيت في مدينة شماليا قريبا من مكان وظيفته ، وانشغل إياد أمام هذا الواقع الجديد بالبحث عن زوجة بشكل جدي وسيطلق العزوبية.

خرج مهراوي من السجن بعد شهور ستة ، وعاد لبيته يخطط للزواج من حلوة بعد ترملها وانتهاء عدة الوفاة خلال فترة السجن .

كلفت الشرطة حمزة متابعة قضية والده بعدما عجزوا عن معرفة الفاعل، فقد اشتبه بإياد أولا ثم حلوة ومهراوي ، ولكنه كان سجينا عندما قتل الرجل .. تزوجت حلوة من مهراوي وأصبحت علاقتهما الجنسية شرعية ، ذات ليلة زارهم حارس مصنع الأحذية جرور الذي مهد

لسرقة المخازن ، وطلب منه مالا بسب طرده من العمل وحبسه ثلاثة شهور فأعطاه مهراوي ، وطلب منه أن يبحث عن عمل بدل التسول ، وتكرر الطلب فتضايق مهرواي ورفض أن يدفع له ، فقال غاضبا أمام حلوة : أنا ساعدتك في الخلاص من حسام ، ولم تدفع شيئا .

فقالت حلوة بارتباك : ماذا تقصد يا ملعون؟!

جحرها وصرخ في وجهيها : أغراني زوجك بقتله وخنقه ليتزوج حلوة بكر .

صاح مهراوي: اخرس يا ملعون .. لم أطلب قتله يا مجرم ، قلت لك هدده ؛ ليسرع في طلاقها لنتزوج بعد خروجي من الحبس ، مللت من الزنا وبنات الهوى ، فقلت لي رفض الذهاب معها للمحكمة وصفعك وبصق في وجهك، فخنقته وطعنته غضبا لروحك يا جرور!

حدث شجار بينهم ، ووعده مهراوي بمال ، وطلب مهلة ، وبعد أيام وجدت جثة الحارس في بيته ، أخبرت حلوة بعد مقتل الحارس شقيقها حامد بأن الحارس هو الذي قتل زوجها بمؤامرة بينه وبين مهراوي وزوجها قتله ، وأنها ستخرج من البلد خشية على حياتها منه ، فاتصل حامد بحمزة والتقيا وحدثه بقاتل أبيه ، واختفى مهرواي وحلوة ، ولم تطل مطاردته ، وحاول إلصاق التهمة بزوجته حلوة بكر ، وكانت قد أخبرت شريكتها بالدكان بغدر مهرواي بزوجها ليتزوج منها قانونا ، وتبين للبوليس أنها بعد مقتل الحارس جرور غادرت البلاد خوفا على حياتها من مهراوي .

قال طارق: هذه قصة صديقي حمزة حسام انتهت بمقتل أبيه حسام رحمه الله تعالى

قال عزيز : عظم الله أجرك يا صديق النادي وإن جاء العزاء بعد عمر .. فقد اهتمت الصحف يومذاك بجريمة واد السعدانة البشعة ، ولم نكن نعرف الرائد حمزة.

وقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون .. وهل أنت سالك مع أهلك؟

شكرهم حمزة وقال : عشت مع أم مطلقة ـ رحمها الله ـ ماتت من سنوات ، وزوجتي طيبة وولدت لي ثلاثة ، فأنا أحسن نصيبا من طارق ، ولي سنوات ارغبه بالزواج ، وليست كل النساء شادية .

قال: أهاب النساء ، يكفرن العشير ، وتعودت العيش بدونهنّ وأنسهنّ ، وأتمنى لكم النجاح معهنّ لديّ رهاب الطلاق.



الدكتور والطلاق

قال عزيز : ها قد التقينا مرة ثانية أيها الفضلاء ! وقلنا عند انصرافنا تلك الليلة عندما نجتمع سنسمع ونفسح المجال لباقي قصص الأخوة الكرام وحكايات طلاقهم أو طلاق أهاليهم .. تحدث دكتور جمعة العامد .

قال : شكرا عزيز والشكر لكل الأخوة الجالسين معنا .. كما تحدث الصديق الخطاط حمزة ، نحن هنا نحمل صفة خطاط .. خطاطون وتجمعنا هذه الهواية الممتعة ، ننسى هنا مهننا وأعمالنا وأشغالنا وبيوتنا ، وتجمعنا هذه الهواية الممتعة الجميلة ، وأكيد لكل واحد منا قصة لطيفة في غرامه بالخطوط العربية والزخرفة ، وكيف تعلق بها وهويها ، وأنا حدثت طارق سليم بقصتي منذ تعرفنا هنا على بعضنا ؛ ولكن بعض الإخوة لم يسمعوها ، ذكر طارق أن شقيقه طلالا الطبيب تعرف على زميلة أثناء الدراسة ، وتكبره بعامين وانسجاما ، وما زال زواجهما ناجحا على غير ظن صديقنا طارق أن السن قد يكون من أسباب فشل العلاقة الزوجية ، تعمقت معرفتي بالزميلة الطبيبة لمياء السيد ، وأصبح حلمنا الاقتران ، ونسينا فارق السن بيننا ، فنحن في نفس العمر ، وحلمنا بتكوين أسرة بيننا ، أمرأ ينتظر إنهاء الدارسة والبكالوريوس ، وعشنا سنوات الكلية الطبية على هذا الأمل ، والإنسان يحيا بالآمال والأحلام ، وتمنى لنا زملاء الكلية التوفيق والنجاح ، وابتعد عنا العابثون والعابثات، فقلّ التحرش بها ، وقلّ تقرب الزميلات مني ، والأيام لا تتوقف ، وفور التخرج ، وقبل التدرب في مشافي الدولة تناقشت وأبي تيسير العامد في أمر الزواج خشية أن تغير الدكتورة لمياء السيد رأيها ، دعوتها لمكتب أبي في شركة هندسة النحاس والكوابل ، وتحدثنا عن الزواج والقران ، وأبدت قبولها بأريحية حتى قبل أن تشاور أسرتها في موضوع مصيري ، وهي رحبت كذلك بالزواج قبل العمل رسميا أنا وهي ، فنحن على قائمة التوظيف والتشغيل الحكومية ، المفاجأة أن أمي اعترضت ، وقال : إن حب الكليات والجامعات نهايته الفشل ، ولا ينهض على أسس قوية ، ولا يحتمل الهزات ، وسخرت من هذا التبرير والرفض ، وجرت نقاشات حادة بيني وبين أمي ؛ ولكنها أصرت على موقفها

ورفضها وعدم قبولها زواجي من الزميلة لمياء السيد، ووقف أبي معي ، وتعجب مثلي من رفضها وذكر عيوب الطبيبة وهي لم ترها بعد ، وكان الزواج الشرعي رغم معارضة أمي وأخوالي ، واشترى لي والدي شقة تزوجت بها ، ثم عرفت سبب شدة غضب والدتي عليّ وعلى لمياء ، كانت ترسم على زواجي من ابنة أخيها الآنسة هيفاء ، وكانت متفقة معهم على ذلك دون علمي، وعلم أبي المهندس خالد العامد ، وكان خالي والد هيفاء يظن الأمر كله بيدها ، وأوقف كل مشاريع الزواج من ابنته هيفاء على أمل زواجي منها بعد الكلية ، ولم أكن اعلم بذلك البتة مما أدهشنا هذا الخبر وانتشاره بعد الزواج وصممت أمي على محاربة لمياء والنزاع معها واتهامها بسرقتي منها ؛ نتيجة لموقف أمي المؤلم معنا ندر أن نذهب لبيت الوالد خشية أن نعود بمشاجرة وأوصاف سيئة وقبائح ، وبعد زواجي بسنة لم تخمد نيران والدتي وبناتها معنا ، فلم تتغير البغضاء بمضي الوقت ، وحدث ذات ليلة أن دعاني أبي ولمياء للعشاء معهم ، فقد أقام وليمة لوالده الشيخ وأعمامي وعماتي بمناسبة عودة والده من العمرة ، فبعد تردد ذهبنا لنشارك في الدعوة والعشاء ، ووصلنا مع دخول الطعام الجاهز من سيارة والي ـ مطاعم والي الشهيرة في المدينة ـ وجلسنا كما كان يجلس الآخرون ، جلست وبجواري ويساري لمياء كالمعتاد ، وكانت أخت لي اسمها ساري على يسارها هي وزوجها ، وزوجها ابن خال لي اسمه ياسر ، جاء معها لأنه زوج شقيقتي ، فما كدنا نجلس ، وقدم خادم البيت الطعام حتى نهضت أختي بنفرزة وهي تقول :شبعت هيا يا ياسر ! لم يبدأ القوم يا إخوان الطعام ، ما زال الخدم يوزعونه على الأواني ، مختصر القص حردت أختي، وهي كبرى ذرية أبي ، وبدا حردها واضحا لجلوسنا بجوارها وتبعها زوجها ، فقال أبي بغضب : لا أحب أن أراكم في البيت، لعنة الله عليك وعلى أمك. وهاجت أمي وتوقف الأكل، وارتفع الزعيق والشتم والسب، وكان يا إخوان من نتيجته غضب جدي من أمي وابن خالي وحرد هو الآخر ، وطلق أبي أمي قبل انصراف جدي وأعمامي وقال لابن خالي : خذ عمتك معك غدا نقف على باب المحكمة لعنكم الله .

قال الدكتور جمعة: وبالفعل أيها الزملاء انفصل أبي عن أمي، وذلك من نتائج زواجي من

الدكتورة لمياء السيد دون رضا ومباركة أمي ، لحد ذلك الزمن ظل الزواج بيننا صامدا ، خلال الشهور الماضيات وبسبب الزواج من لمياء ، كان يتردد علينا بين الحين والآخر جارة لمياء وشقيقها في بيت أسرتها ، وكان الأمر مقبولا ، جيران قبل أن أتعرف على زوجتي، وتعرفت عليهم أثناء فترة الخطوبة الرسمية ، ورأيت الأمر عاديا ؛ لكنني تفاجأت في سهرة في شقتي بعد كارثة أمي أن صرحت الجارة سميرة بقولها إن شقيقها سامرا كان راغبا بالزواج من زوجتي ، وينتظر تخرجها فسبقته إليها ، تطلعت في عيني لمياء والشقيق سامر فقال سامر: أنا تفاجأت فعلا بزواجك منها يا دكتور جمعة !

قالت زوجتي دون مواربة : كان بيننا ود قبل الجامعة ، وأثناء الجامعة ولم يصل إلى الزواج يا سميرة.

قالت سميرة : كنت أظن أن هذا سيحدث.

قلت محدقا في عيونها وتبرجها للمياء ومعاتبا بلطف : لماذا لم تكشفين ذلك يا لمياء؟!

قالت : اخترتك أنت ، كان كلامك وحبك أقوى مما بيني وبين سامر .

قالت سميرة بضحكة مقتضبة : أنت مليتي من سامر أحببت التغيير .

صاح شقيقها محتجا : لماذا هذا الحديث يا سميرة؟! الزواج نصيب

قالت : كنت تحلم بالزواج منها وما زلت ؛ ولكنك تفاجأت بخطبتها لا تنكر ذلك.

قال جمعة : ما وظيفتك بالدنيا يا سامر ؟

قال : درست إدارة واقتصاد ، ومدير عدة مصانع مع أبي.

قلت بوقاحة وغيرة : أصدقني هل نمت معها ؟

قالت سميرة مجيبة : وهل هناك حب بدون ذلك يا دكتور؟!

التفت لزوجتي وقلت بارتباك: هل... هل ...؟

قالت دون خجل أو مواربة : هذا قبل الزواج .

قلت بسخرية ومرارة في نفس الوقت : قبل الزواج !

قالت : وهل نحاسب على أفعالنا قبل الزواج؟!

قلت : أنت طالق يا لمياء ! مباركة عليك سامر

قال : جننت يا دكتور!

قلت : كلا ، خذوها معكم ، خدعتني بزعم الحب ، ومرات كثيرة قالت إنها عذراء مع أنني شككت أيام زواجي الأولى بعذريتها.

قال سامر لأخته : لماذا كشفت المستور يا سميرة؟!

قالت بحدة : تزوجها ، لا داعي لاستمرار الخيانة يا سامر !

قلت مصعوقا : ما زالت تخونني!

قالت لمياء : هددني بكشف الأمر إليك إن ابتعدت عنه ، ولم أسلمه جسدي.

قلت : يا الهي! وضربته لكمة على وجهه، وأنا أصيح :حقير نذل خائن !

قالت مقرة : ماذا افعل يا جمعة ؟! كنت سكرانة لما غدر بي واغتصبني قبل الزواج ؟

قلت : انصرفوا.. احذر أن أراك .. تأتينا يا فاجر لترتيب الغدر والفُجر يا فجرة!

قال: لن أنسى اللكمة.

قلت : أرجو أن لا تنساها يا خائن! صعقت ذلك الليل وأصابني الإحباط واليأس أيها الأحباب.

قال حمزة : كان موقفها صعبا ! كيف ستوضح لك جريمتها واغتصابها؟

رد جمعة : كيف تقبل الزواج بي وهي عاهرة ؟!

قال: حبك أعماك عن رؤية عيوبها .

قال طارق : تابع حكايتك .

قال جمعة : خرجوا ، فسميرة لم تعد تحتمل ثقتي العمياء بزوجتي الخائنة، أخبرت أبي بطلاقي للمياء دون الإفصاح بالحقيقة ، وطلبت منه مصالحة أمي وردها ، وأعلمها أني تخلصت من عدوتها لمياء زاعما أني لا أقبل بكارثة أمي بعدما فكرت بعمق ، وصدق أبي زعمي ، وتحدثت

مع أمي وقلت لها الموقف ، وإني تخلصت من لمياء لتعود للمصالحة مع أبي ، وحدث ذلك بفضل الله وتزوجا من جديد ، سمعت بعد شهور بزواج مطلقتي من سامر للململة الفضيحة .. لي قريب يعيش في أوروبا ، فلما سمع بفشل زواجي فحدثني عن شقيقة زوجته، فسافرت مهموما مقهورا إلى تلك البلاد ، وعرفني بعد أيام على البنت ، وقضيت شهرين معها ومع قريبي ، أتعرف عليها أحدثها عن نفسي ، وتحدثني عن نفسها حتى استطعت أن اتخذ قرار الزواج منها وحصل فعلا الزواج واحتفلنا به ، وعدت بها لأرض الوطن ، ولم يطل البحث عن عمل ، ولا أنسى أن أذكر لكم أن أبي يساعدني ماديا سواء في الدراسة ، سواء في الزواج الأول والثاني ، ولم أكد استقر حتى ظهرت عداوة أمي لزواجي من أوروبية مع أن هيفاء ابنة أخيها تزوجت قبل طلاقي من لمياء ، حتى سألتها ما العيب أن أتزوج غربية ؟ وهي أخت زوجة السيد مالك قميص.. هل لازم أتزوج عن طريقك ؟ لما رأيت حقد أمي لزوجتي والإساءة إليها في الصغيرة والكبيرة هاجرنا لكندا دون علمها ، وسمح لي أبي بترك البلاد ، وأعلمني أنه على وشك الزواج على أمي .. الحياة مع أمي وأشقائها صعبة ، ويتدخلون في كل شيء .. وفعلا تزوج الوالد من أرملة ، وطلق أمي من جديد ، وحصلت مضايقات ومشاجرات بينه وبين البنات ؛ حيث وقفن مع أمهن دون تردد ، حتى أن ابن خالي طلق أختي ساري التي سببّت طلاق أمها قبل سنوات .. مرضت أمي بعد حين يسير ، وأصابتها جلطة عاصفة هدت كيانها ، وعاشت بضعة أشهر تعاني صحيا ، وتكررت الجلطة وماتت ـ رحمها الله ـ وجاءتني نداءات بالعودة ، قضيت سنتين في الغربة ، وعدت لأبي، ووجدته سعيدا بزوجته الأرملة ، وأسعدني ذلك حقا ، كان أبي محبا وعطوفا عليّ اكثر من أمي ، وعدت لهواية وعضوية نادي الخط العربي والزخرفة الإسلامية التي ما زالت تزين قصور ومساجد العرب في الأندلس ، وأنا سعيد حقيقة بزوجتي الأوروبية وها نحن نسعى للخلفة بعد أن استقر زواجنا وتعمق الحب بيننا ، وقد تعلمت العربية في مؤسسة تعليم اللغة العربية للأجانب ، ونحن اليوم سعداء نأمل بمولود يزيد دفء الحب والحياة بيننا ، هذه قصة طلاقي باختصار أرجو أن يكون واضحا للجميع.. فالحياة عجيبة

وقصصها أعجب ؛ ولكنها دنيانا وحياتنا ، علينا أن نحياها بحلوها ومرها ، وشرفت بالتعرف على طارق وعزيز والتاجر عمر وعلى الجميع وعلى حبيبنا حمزة حسام.

قال طارق : عفاك الله ، ومن قلبي أتمنى نجاح زواجك الثاني ودوامه، لقد حلمت يوما كما رويت لكم بالزواج من أجنبية ؛ فأنا حلمت وجمعة حقق ذلك الحلم.

فقال عمر : أليس لها أخت يا جمعة ؟ كما ساعدك قريبك مالك من الزواج من شقيقة أهله ساعد طارق لنكاح أختها .

ضحك الدكتور وقال : والله فكرة ؛ لكن حسب معلوماتي لا اذكر أني سمعتهم يتحدثون عن أخت ثالثة ..سأسال زوجتي الليلة.



إخوة نعمان

قال عمر باسما : جاء دورك يا مهندس نعمان بدير !

قال طارق سليم : يا نعمان بن بدير هات مع عندك من قصص الطلاق والفراق والتسريح بإحسان كما نص القرآن .

قال عزير متفكها : التسريح اليوم بفضائح وصحف وجرائم ، قديما كان الطلاق سهلا وبدون محاكم وقضايا ومشاهدة .

قال حمزة معللا : الحياة تعقدت ، ومشاكل الناس زادت وتنوعت وتضخمت ، اليوم نعالج قضايا شرطية فيصيبنا الذهول من تفاصيلها ، نواجه حرق أصابع كي أجساد حرق بيوت ، انحلال غريب ، وخيانات رهيبة بهيمية وحيوانية، لا تدري كيف تحدث بين البشر ؟

قال طارق مفسرا : الكحول والمخدرات والسموم خراب البيوت ، ضاعت العقول والقلوب وهناك تضخيم للحرية المطلقة والشخصية .. تكلم يا سيد نعمان .. فنحن في المحاماة نسمع ونرى قضايا قانونية عجيبة ومثيرة مثلك يا حمزة .

قال نعمان : أنا يا دكتور طارق لم اطلق كما طلقت ، ولا أبي بدير طلق ، كما طلق والدك يا حمزة واختفى ـ رحمه الله تعالى ـ ولا أمي طلقت ، أمورنا بفضل الله طيبة ، والغيب علمه عند الله أنا أختي طلقت وكذا أخ لي ، درست شقيقتي دينا بدير الجامعة ، ودخلت كلية الإعلام ، كانت ترغب بالعمل في التلفزيون كمذيعة أو محررة أخبار ، وخلال الجامعة كونت علاقات صحفية مع بعض الصحفيين ، وكتبت ونشرت لها تلك الصحف والمجلات مقالات خواطر تعليقات تخرجت أختي من كلية الإعلام ، وقدمت أوراقها للعمل في محطة التلفزيون الوطني ، وقبلت كموظفة وداومت فترة تحت التمرين ؛ ولكن بدا لنا أن الراتب لم يوافق هواها كما وضحت لما تركت التلفزيون ، بعد أقل من نصف سنة تركته للعمل في الصحافة في صحيفة الثورة مع ابن عمتي جبير المحرر فيها ، وبعد شهور علمنا رغبتها بالزواج من الصحفي جبير تزوج السيد جبير دينا ابنة خاله بدير ، فرحنا لهما فرحا كبيرا وعمنا السرور ، فهي الكبيرة في ذرية أبي ،

وأول زواج في الأسرة . لم تكن دينا والعائلة أسرة متدينة؛ لنهتم بأخلاق جبير وخفاياه وصلاحه وفساده ، رجل وبس ، وجبير على نفس الشاكلة ، لا يختلف عن دينا ، لا دين ولا صلاة ، أقول صراحة أن الشاب كان زانيا وسكيرا وهذا معروف للجميع ، والرجل صاحب سهرات ومجون وقلنا هذا اختيارها ، وهي أنثى ناضجة ، ولا طاعة لنا عليها ، وكما نوهت آنفا نحن أسرة غير متدينة لنقيس على مقياس الدين والصفات الحسنة والخلق الحسن، ولكننا نقدس الزواج ، ولا ترتاح نفوسنا للخيانة الزوجية ومقدماتها ولا توابعها، وقلنا وأملنا ؛ لعله بعد الزواج يعقل ويرتاح للحياة الزوجية الشرعية والحلال ، ويترك الفساد والمواخير والحانات وعلب الليل والساقطات ، رائحته تزكم الأنوف حقا .

تخرجت كشقيقتي مهندسا كالأخ عزيز ، واشتغلت بشكل رسمي في شركة كبيرة يديرها الوالد وبعض أشقائه رحم الله أبي ، فهو اليوم في دار الحق في مدافن العائلة ـ ترحم الأصدقاء على والد نعمان وآبائهم ـ وتابع نعمان فقال : وأخي منير أصغر مني بسنتين لم يكن صالحا درس المحاسبة المالية ، واشتغل في شركة مالية كبرى على سمعة وأموال الأسرة المودعة فيها خاصة أبي وأعمامي ، تزوجت أنا العبد الفقير إلى الله بعد ممارسة العمل بسنة ، صديق لي ساعدني على الزواج من شقيقته ، وهي لحد الآن نعم الزوجة والقرينة ، وما زلنا حبايب ولا داعي لذكر باقي أولاد الأسرة ، فهم مثلي سعداء والحمد لله ، الصغير منير المحاسب تعرف على أنثى في المؤسسة المالية اسمها دانيا ، هذا اليوم أمر طبيعي ، فالشركات والمصانع يعمل فيها من الجنسين ، فالتعارف حاصل ، فكانت دانيا اختيار منير بدير كزوجة ، قبل والدي الاختيار ولو على مضض لأن أبي كان يرغب وتكلم بذلك لو منير يتزوج شقيقة جبير ابنة عمته ، فكما تزوج ابن عمتي أختي ابنة خاله ، فعلى أحدنا الزواج من بنات العمة ؛ لتزداد أواصر العائلتين وتمتد الصلات.

سكتت العائلة على اختيار منير حسب قانون الحرية والديمقراطية التي يتغنى بها أهل الشرق قبل أهل الغرب، ولا يجوز لأحد الرفض والاعتراض والنصح على خيار الآخر ، فكيف الرفض ؟!كان ابن والدي منير صاحب خمر وميسر ، علق بهما من عم لنا قريبا من جيله وتساهل

أبي في ردعه وزجره وتربيتنا ، حرية شخصية يقال ، والتهاون شعار الوالدين، المهم عدم إيذاء الآخرين بدنيا ومعنويا ، التساهل مع الجميع ، وقلت ذلك لكم لأنه بدأ لنا أن الفتاة تفاجأت بذلك وشكت من ذلك ؛ كانت تراه مدخنا ومحبا للأفلام والسينما والمسرح والحفلات والقليل من الشراب في المناسبات ، عرفت فيه شيئا أو أشياء لم تكن تراها وهي ترسم عليه كزوج، رأته رجلا منفتحا أنيقا محبا للزينة والعطور والأطعمة الغربية والبذلات الغربية ، فلما طفق يستلف من مالها للقمار وشرابه وسهرات البيت ، ويجلب البنات والرفاق للسكر والقمار عرفته على حقيقته ، وأنه مولع بالقمار فهجرت البيت ، وظن منير أن الأمر لبضعة أيام ، ثم تعود أو تتصل به ليأتي لأخذها ، ويا دار ما دخلك شر ،وهذا حدث كثيرا منذ اقترنا ، ونسمع به من أمي أو عمنا رفيق منير أو بنات أمي كتسلية ، كانت مشاجرات البيت كثيرة بينهما بسبب القمار والعربدة ، هذه المرة طالت المدة ، مضى أكثر من شهر ودانيا في بيت والدها ، وركب أخي رأسه ولم يسع لإعادتها والتصالح معها ، وحتى هي غيرت دائرة العمل تجنبا للقاء به ، انتقلت لفرع آخر تابع للمؤسسة المالية ، ونحن نراقب المسرحية دون تأثر كبير ، ونسمعه يتذمر من النساء والغدر والخيانة ولعن النساء والعاهرات ، نتركه للحظات ، فقد وصل لمسامع العيلة أن دينا شقيقتي علقت بشاب صحفي يشتغل معهم في صحيفة الثورة وأحبا بعضهما ؛ كما زعمت لأمي وأبي، وكان ردهما السكوت كعادتهما لعدم جدوى التعليق والنصح للجميع ، فاللامبالاة أفضل في قناعتهما ، لما وصلت المعلومة لجبير وأدرك أن الزوجة تخونه مع زميل له تزوج صديقة لها قبلته وليحطمها كما قال ، ولم يطلقها ، وشرّط للطلاق أن تعيد أمواله إليه ، المهر وحفلة الزواج، فخضعت وأعادت جزءا كبيرا منها تفاهما عليه مع العشيق ورئيس التحرير للجريدة خشية التأثير على مقالات وإعلانات الصحيفة القومية والثورية، فطلقها رسميا ، ولم يعقد عليها زميلها وحبيبها، وجبير انتقل للعمل في صحيفة أخرى ، والأسرة نبذتها بدون قرار رسمي، والكل يتجنب مجالستها مما دفعها لاستئجار شقة للعيش وحدها ، كنا ننتظر زواجها لترحل ، فلم تتزوج كما قلت من حبيبها ورحلت ، فتنفس والدي الصعداء كما يقال ، وعدنا لزيارتها

كما عودناهما ، وكان رحيلها يا أحباب حقيقة بطلب من أبي ، فهو لا يحتمل سكرها ورفاقها في بيته، ولا يحتمل وجودها وعشيقها فرحلت ، ثم ماتت بعد حين في شقتها وهي تتعاطى المخدرات ، وقيل جرعة مخدر زائد ، وجرى تحقيق مع شلة تلك الليلة ، ولم تكن هناك جناية أو جريمة حسب قول الأمن ، ثم علمنا أنها بدأت التعاطي منذ تزوجت جبيرا ؛ بل قيل تعلمت ذلك أثناء الدراسة الجامعية وقد يكون ذلك صحيحا ، أما أخي منير فذكرت لكم أن زوجته هجرته لما كثرت الديون عليه لها ولغيرها ، ويتملص من سدادها حتى قالت لي شخصيا استدان منها خمسة آلاف دينار محلي ، وتفاجأ منير بوقت متأخر أن زوجته المهجورة من سنة ونصف بأنها حامل ، في البداية ظنها لعبة ليردها ويتصالحا ، وسعى للتحقق من الخبر ، وأكدت له أمها بحصوله رغم أنفها ، وأنها تعرضت للاغتصاب ، فجن جنونه وطلب منها الإجهاض ، ولن يعترف بابن الزنا ، ووعدها بالصلح والعودة بعد الإجهاض ، وهو مستعد لتطليق صديقتها والزواج من جديد ، فأصرت على بقاء الحمل والوقت فات ، وأنها غير مستعدة لمخاطر الإجهاض ، رغم الجهود والتوسلات ، وتأخر وقت أخباره ، وضعت طفلها ، وحمل الطفل اسمه قانونا ، وفقد منير الصواب رغم الجهود التي بذلها لنفي الأبوة ، ولدت سفاحا ، ووقع الطلاق رسميا ، واختفى الرضيع ، واتهمته مطلقته بخطفه وقتله .. هذه قصص الطلاق في أسرتنا وعائلتي أيها الهواة في الخط العربي وزخرفته.

قدم لهم المهندس عزيز أكواب الشاي الكبيرة التي أعدها ، وهو يقول : تمتعوا بعصير العصر الشاي السيلاني.. اذكر أنهم كانوا يقولون لنا ونحن في المدارس أن الشاي ظهر ميلاده في الصين.. واليوم اسم على كل لسان.. ميد أن جابنا.. صنع في الصين.

قال حمزة : صحيح .. اكتشفه راعي صيني ، وانتشر في الهند وباكستان وجنوب آسيا وشرقها.

طلاق الابنة

حسن شماس عالم هندسة ذرية ، وهو عضو في نادي الخط العربي في البلاد دار السلام ، وكان يتردد على نادي ابن مقلة نادي الخط العربي قبل سفره إلى أمريكا لدراسة الهندسة الذرية ، قرأ مقالا عن الخط العربي وجماليته في احدى المجلات الأدبية، وتعلق بالخط ؛ حيث كان يمارسه عند الملل من الكتب المدرسية والثقافية ، ووجد ترحابا من قيم النادي وتشجيعا ، والتحق بدورة في تعلم الخط الثلثي والكوفي والديواني مع المدرب الأستاذ الخطاط علي المطاط نجح نجاحا كبيرا في الثانوية العامة الفرع العلمي ، وساعده خاله العالم في أمريكا بالسفر والالتحاق بجامعة في فرجينيا الشمالية قسم الفيزياء والهندسة الذرية ، تعلم اللغة الأمريكية والتحق في الكلية بأشراف ورعاية من خاله ياسين دروب، والمحاضر في تلك الجامعة ، وبعد سنوات عاد للوطن لوعكة صحية أصابت أمه ، وترجح لهم موتها ؛ لكن الأعمار بيد الله والوقت للرحيل بيده سبحانه ، وكل نفس ذائقة الموت ، لا مفر من الموت ، وفي هذه الزيارة أصر والده على زواجه من ابنة صديقه غالب كلمان خوفا عليه من فساد الإباحية المنتشر في الغرب ، قال حسن : وبعد الزواج عدت لمتابعة الدراسة والسعي لتمكين زوجتي هدى من السفر ، ولم يطل سفر هدى ، فلحقت بي ، وولدت لي محمدا وقبله مايا ، تخرجت من الجامعة بتفوق كبير ، وعملت في جامعة مدرسا خمس سنوات أخرى ، ولما توفي خالي ياسين اثر حادث سير عدت للعمل في جامعة دار السلام الكبرى ، وعدت للنادي هذا للترفيه والعودة لهواية الخط العربي ، وها نحن نتعرف على الكثير من الوجوه الجديدة المرحة ، ووجدنا رئاسة النادي بوجه جديد ، ورحم الرب سبحانه الوالد والصديق وحيد الدين العالم في العربية والخط ، وقد سمحت لنفسي بالجلوس معكم لما لمحت انسجامكم ، وأسمع حكاياتكم العجيبة والغريبة في قضية الطلاق المؤرقة لكل دول العالم ، والعجيب أنها تحدث في بلاد المسلمين والعرب بمثل ما تحدث في عالم الغرب ، أما قصة الطلاق في أسرتي فكانت مع ابنتي مايا التي أنجبتها في أمريكا ، كان أبي قد وافق على زواجها من ابن أخي حسين ، ويمكن القول بكل صراحة أنه أجبرنا على القبول به ،

وما كان أمامي إلا إرضاء أبي سيد العائلة ، وهو الذي تكلف أموال السفر والدراسة في الغرب وكانت البنت بارة بنا وعند حسن ظننا ، وبعد تردد قليل منها ، وسماع كلام أبي وأمي جديها استسلمت للزواج لاختيار الجد ، ورضيت أمها هدى وباركت لها ، وتزوجت مايا ابن أخي داود حسين ، وأنجبت منه طفلا بعد حين ، لم تحمل إلا بعد سنة ونصف من الاقتران ، وبدأت وهبت العاصفة، فهرب ابن أخي من المدينة دون سابق إنذار ، وسافر للعمل مدرسا في دولة عربية ، وسبب الهرب كما زعم لأبيه حسين فيما بعد أنه تعلق بمعلمة تعمل هناك ، عرفها عن طريق صحيفة أو مجلة وكان يراسلها وتراسله ، وتتصل به عن طريق الهاتف ، وتزوجا سرا عنا فور وصوله لذلك القطر ، ودون علم ابنتي وحتى أحد من ذويه ، فصدمنا من طريقة خروجه من البلد لتلك الدولة ، ثم الزواج بتلك السرعة ، زعم لأبيه فعل ذلك ؛ ليضعنا تحت الأمر الواقع ، ولا يسمع اعتراضا وهو مدرس فهمان ، فما كان من ابنتي أن قالت : كما ضغطتم عليّ للزواج منه، فعليكم الضغط عليه ليطلقني أنا لم أحبه يوما ، فسافرت إليه أيها الأخوة الطيبون وطلبت منه العودة وطلاق البنت ، فضغطت عليه الزوجة الثانية ، فعاد مرغما ، وطلق البنت ، ثم سافر ، وتزوجت ابنتي بعد شهور ، وزواجها بفضل الله صامد ، وأبدلها الله خيرا من ابن أخي حاول أخي أن يزوجها لابنه الآخر أو ابن اختنا كضرة ، فرفضت ، ثم تيسر الزواج من أحد معارف صديقة لها ، وهي تعيش بسعادة وفضل من العزيز الحكيم ، وولدت من زوجها محمد ربحي ثلاثة أطفال ولله الحمد والفضل .

وأضيف وأختم وعاد ابن أخي بعد سنوات بلا حبيبته ، فقد طرد من وظيفته وفصل ، وزوجته رفضت ترك العمل والعودة معه ، ورفضت العيش في بلادنا ، وهو اليوم يعيش بلا امرأة .. هذه قصة ابنتي وطلاقها.

قصة عبد الواحد

حسنا أيها الأصدقاء! جاء الدور أو وصلني الدور .. قصص طلاقي لا تبدو مثيرة ومزعجة ، كنت أتزوج بأمر ، وأطلق بأمر بما أنكم اجتمعتم للسمر والثرثرة في مثل هكذا موضوع سأدلي بدلوي .. اسمعوا بارك الله فيكم .. ترملت أمي ـ رحمها الله ـ وأنا ابن عشر سنين ولم تلد غيري هكذا قال الخطاط عضو النادي عبد الواحد منازلي: فلذلك عجلت الوالدة بزواجي وأنا لم ابلغ العشرين سنة ، ولم يكن لي الاختيار بمن تكون الزوجة ، زوجتني من ابنة أختها الآنسة نادية بليل ، مضت سنة زواج دون أن تلد نادية مثل زوجة الصديق عمر فزوجتني أمي من ابنة أخت ثانية خالتي الثانية السيدة سعدية محمود ، ولدت سعدية بنتا ثم بنتا ثم بنتا ، وذلك لا يعجب أمي تريد ذكورا ذكورا ، كانت ولادة سعدية كارثة ومناحة بدلا من الفرح والاحتفال وترفض أمي التهنئة بالبنت ، وقبل أن ابلغ الثلاثين زوجتي امرأة غريبة من خارج الأقارب ، كما قيل لها من الحجابين والفتاحين والدراويش بتغريب النكاح ، مع أن سعدية ولدت ثلاث مرات ، غربنا النكاح ، المهم تزوجت مريم من بلدة أخرى عن طريق الأجاويد لتلد الذكور لأمي ، وطلبت السيدة نادية بعد زواجي الثالث طلبت الطلاق ، ووافقنا على ذلك ، دون أي اعتراض ، للتذكير أنا كنت دخلت الجيش بعد الثانوية ، وتزوجت نادية كضرة من ابن عم لها وهذا تقليد موجود في العائلة أن تتزوج المطلقة أو الأرملة اذا رغبت من الأقارب ، والعجيب لنا طبعا أنها ولدت من ابن عمها ذكرا ، مما أغضب أمي منها ومن أختها أم نادية ، واتهمتها علنا بأخذ موانع الحبل ، مع أنها لما تزوجتها كانت ابنة خمس عشرة سنة ، لا تعرف بمثل هذه الأمور فهي تركت المدرسة عند زواجنا ، ولما اعترضت عليها ، قالت: أمها علمتها ذلك ؛ لأنها تكرهنا يعني خالتي تكره أمي ، وأكثرت من قول الإشاعات وكيل الاتهامات ، وإنها كانت تعشق ابن عمها بعلم خالتي ، فضاق زوجها بالأقاويل والاتهامات ، حتى طلقها ليرتاح من قيل وقال ، ووقفت الشحناء في العائلة ، وسعت أمي لإرضاء أختها أم نادية لتزويجها لي مرة أخرى ، فرفضت بكل قوة ، وتزوجت أختا لها طلقت قبلها لمشاكل لا داعي لبيانها ، فهدأت المعركة

تماما ، وعادت نادية لابن عمها ، وولدت له من جديد ، وأختها لم تلد لي كما لم تلد لزوجها الأول ، قمنا بعمل فحوص وتحاليل لمدة خمس سنوات يا عمر ! وظلت عاقرا ، وعملوا الحجب والرقى والشعبذة دون نتيجة ، زوجتني أمي امرأة أخرى ، فصار عندي أربعة في العمارة لمزيد من الذرية والذكور ، وطلبت مني خالتي أم نادية تطليق ابنتها ليلى بليل ، ففعلت لأني صرت حيوانا لمزرعة الخراف ، وتزوجت وولدت من زوجها الثالث بدون علاج وبدون حجاب الأمر لله من قبل ومن بعد .. وهكذا حياتي زواج طلاق حتى ماتت أمي ـ رحمها الله ـ وعندي اليوم جيش من البنات ، والقليل من الذكور ، والآن عندي ثلاث زوجات يتنافسن على إرضائي وأصبحت عجوزا قبل الأوان .. نسأل الله الرحمة والعفو والبركة وحسن الختام.

قال عزيز ضاحكا : كان الله في عونك.

قال: وفي عون الجميع .. لي خمس سنوات بدون حالة ولادة .. وقد زوجنا بعض البنات ربنا يستر عليهن وعليكم بفضله جاء دورك يا عدنان أعندك حكاية ؟

قصة منار

قهقهة الشيخ عدنان مسرورا ، وهو دكتور لغة عربية ، ومدرب خطوط وزخرفة في النادي وقال باسما ومسرورا : حقيقة طربت واستمتعت بقصص وسير حياتكم في قضية الطلاق ومآسيه وغرائبه ، حكايات عجيبة ! غرابة طلاق المحامي طارق ، كادت مشاكله العائلية تنتهي ، سمحت له زوجته بالسفر ، وقدم له غازي المال ليبقى الزواج ؛ ولكنه طلق لتدخل أخت زوجته زميلة الماجستير وزوجها في حياته الخاصة مع أنه رغب بذلك كما سمعنا ، وهي التي رفضت تدخلها بينهما لماذا طلقت ؟!

ضحك طارق وقال بترو : تأتي لحظات يا دكتور عدنان يتصرف فيها الإنسان بأفكار وأفعال وانفعال بنت الساعة والموقف ، ويصعب التراجع عن القرار ، سألت نفسي مرارا ، لو لم يحضر هؤلاء سامية وزوجها تلك الليلة هل سيحصل الطلاق ؟ الجواب أن الطلاق سيحصل أدركت ذلك منذ طلبت الخادمة ، وفرضهم ذلك عليّ بطريقة الاستحياء واختصار الشر ، لم اهضم التدخل بسهولة ، ومن ثم قصة أخذها موانع الحمل دون معرفتي ، مع أن ذلك كان في النهاية لمصلحتي ؛ حيث طلقت ؛ وليس معها عايدة وطلال وعالية وطارق .

قال عمر : ولم تتزوج بعدها !

تنهد فقال : حاول بعض الأصدقاء وأخي طلال تزويجي ، وما زلت رغم بلوغي الخمسين دون زوجة، ولا أمارس الزنا لتصريف الطاقة الجنسية ، العفة تاج فوق الرؤوس .

صفق الجمع وقال عدنان : وشادية !

قال : سعى بعضهم للصلح بيننا ، واستعانت سامية بالدكتور غازي أستاذنا في الجامعة اعتذرت فلما يئسوا مني تزوجت قريب أو صديق لزوج سامية ، ثم اختفت من حياتي لحد الآن .. قص علينا ما عندك .

قال عدنان : قبل قصي أقول لحمزة حسام براهم صديقنا الشجاع ، سمعنا أن أباك ذهب للمحكمة لطلاق امرأة أبيك ، ولم يكتمل الطلاق ، فتسبب فيها بعد بمقتله ؛ لأنه لو طلق لما

التقى بالحارس القاتل ، فلم تبين لنا سبب عدم اكتمال طلاقه ـ رحمه الله ـ وشغلتنا بأخبار شقيقك إياد وأبي مالك .

غمرهم الضحك وقال حمزة : لا أحد ينجو من عمق فهمك ، أنا لم يكن لي دور كبير إلا في النهايات ؛ لأني كنت في الجامعة الشرطية ولا أعود إلا نهاية الأسبوع ، فأسمع من إياد من خالي مالك من أمي من البنات ، وحدثت الجريمة في منطقة وظيفتي ، أما قضية الطلاق فذهب الوالد للمحكمة متهما لامرأته بالفاحشة . فقال له القاضي: هذا يحتاج لشهود وتحقيق وهذا من مهام الشرطة والمحاكم المدنية ، وليس لك عندنا إلا الطلاق ، وأن تدفع حقوقها المالية ، فطلق حتى تحضر المرأة وقد استلمت مؤجلها ، وتقر بذلك أمام القاضي، ووالدي لا يملك المؤخر المقدر بعشرة آلاف دينار ، فتابع رحلة الاختفاء.

قال عدنان : أحسنت أبا علاء وضحت الصورة .. قصتي ليس لي قصة ، لم أطلق البتة لي ابنة أخت عاشت قصة طلاق لا بأس من قصها وسردها على آذانكم في هذا الاجتماع المحترم.

قال طارق مستفسرا : أذكر أنك قلت لي قديما أنك خطبت وتركت.

قال عدنان :صحيح ، لم يحدث طلاق يا دكتور طارق!

قال: تفضل

قال عدنان : أبدا بقصتها ، أعجبت بطالبة معنا في الجامعة ، واتفقنا على الزواج بعد انتهاء الجامعة ، كنا كلينا في قسم اللغة العربية ، وذهبنا وتحدثنا مع أهلها، وتم قبولي كزوج لها وسعدت بذلك ، وقبل التخرج بفصل لاحظت اهتمامها بزميل ، ثم طلبت بفسخ الخطبة ، ولم أتردد في فعل ذلك ، وفعلا اعترف لي الزميل بحبه لها ، وشكرني على فسخ الخطبة والفاتحة ، وما يفعله الله تعالى فيه كل الخير ، وإن بدا قاسيا ، وبعد الجامعة والعمل في قطاع التعليم والمعارف تزوجت امرأتي أم احمد من ربع قرن ، وأمورنا تمام وعلى خير ما يرام بفضل الله ورحمته ولكن لديّ قصة يمكنكم سماعها وإضافتها لحكاياتكم ، ابنة أختي منار راضي تخرجت من كلية الطب، وتقدم خاطبا من أقاربها الكثير ، فاختارت طبيبا يعمل معها في المستشفى ،

وسأروي القصة على طريقة طارق وحمزة.

قال الطبيب جهاد لمنار في مطعم القسم مكان الاستراحة : كيف حال الدكتورة منار؟

قالت : أهلا دكتور جهاد اجلس اشرب قهوتك.

قال: جئت لأجلس معك ، دلتني عليك الدكتورة سمية رشيد.

قالت بحيرة : دلتك عليّ ! ما نحن نعرف بعضنا منذ اشتغلنا هنا وفي هذا القسم .

قال: اعرف ، وكم شربنا القهوة والشاي ؛ إنها حدثتها عن الزواج والرغبة فيه ، فقالت: فاتح الطبية الفاضلة منار بذلك ، فهي عزباء مثلك.

قالت باسمة : أهلا وسهلا .. عروس ..لي شهور في العمل، متخرجة حديثا .

قال: لا اعتقد أني أول من يتقدم إليك .. خاصة طبيبة جميلة ومحترمة مثل الطبيبة منار

قالت : يسعدني أن أسمع هذا الغزل اللطيف

قال: ما هذا بغزل!

ضحكت وقالت : سمعتك تقول جميلة ! .. حسن .. كيف أنت وحرية المرأة والسفور ؟ كيف تراني؟

قال: لست ضد حرية النساء وتبرجهن للشارع .

قالت : وأهلك الأم والأب.

قال: أنا الذي سيتزوج.

قالت : هل يعني هذا أنهم لا يحشرون أنفسهم في حياتك ؟ كم أخا لك وأختا؟

قال: لم نخطب بعد

قالت : أنت طيب ! وسمعتك جيدة في القسم سوف أفكر في عرضك.

قال: أرجو ألا يطول التفكير .. فأهلي يرغبون بزواجي ويفرحون بي.

مرت أيام على عرض السيد جهاد ، وحدثتني منار بعرض طبيب المستشفى ، وقالت: هل من الضروري يا خالي الزواج ؟ منذ التخرج والعروض تنهال كما أحدثك دائما .

قلت: أشكر ثقتك بي يا منار ! هذا قانون البشر.. قانون التزاوج لإعمار الدنيا .. ولا اعتقد أنك ترفضين الزواج كفكرة وحياة، ولولا التزاوج ما كنا أنا وأنت نجلس هنا .. والدكتور بعد إنهاء الجامعة كغاية أولى حققها يحتاج لزوجة وأولاد .. هل تحبين أن اسأل عنه وعن أهله كعادتنا نحن الشرقيين أم معرفتك به كفاية.

قالت :لا أعرف عنه إلا أنه زميل عمل يسبقني بسنة أو سنتين طبية لا اعرف عنه الكثير

قلت : يمكنك سؤال مديرة القسم والتي وجهته نحوك أو ممن خالطهم أكثر منك.

قالت : الصديقة راوية لم تسمع عنه شيئا لافتا للنظر .

قلت : الأفضل سماع الأطباء الذكور

قالت : أتحرج من ذلك ، علاقتي بهم رسمية في حدود العمل .

قال: حسنا ! فاطلبي منه بعض أرقام الهاتف الُمعرفة به، وأنا اكلمهم واسمع كلامهم

قالت : أشكرك خالي ، أمي ترغب بزواجي ، وأبي يطلب التأني وعدم العجلة في الاختيار

قلت : السن يا خالي مهم في النساء .. أنت تجاوزت الست والعشرين .. أنتن بخلاف الرجال .. التأخير ليس في مصلحتكن .. كلما كبرت البنت عندنا قلّ الخطاب .

قضت اكثر من أسبوعين تسأل وتسمع ، ولما التقت مباشرة بالطبيب جهاد على فنجان قهوة في مطعم المستشفى ، قالت : ما زلت تراني أهلا للزواج يا دكتور أم هناك أخريات .

ابتسم وقال: أنا لم أعرف قصص الحب يا دكتورة ، كانت حياتي الشخصية جادة ، ورغبت بالزواج من طبيبة مثلي مع أن بعض الناس لا يرجح هذا الاختيار .. دوامنا أول النهار في المساء في الليل .. هل فكرت كفاية ؟

قالت : فكرت ، والكل يرغبني بالزواج والعمر وفرص الزواج تقل مع الكبر ؛ كأنني عجوز اذا كنت يا دكتور مناسبة لحضرتك فأهلا وسهلا ، وكل من سألناه عن شخصك أثنى عليك الثناء الحسن.

قال مظهرا السرور : شكرا سأقوم وأمي بزيارتكم لوضع النقاط على الحروف .. والتوفيق

بيد الله .

قالت : نحن في انتظاركم .. وهذا عنوان السكن .

وهكذا كان ، ذهب جهاد ووالدته وأخته لزيارة بيت الدكتورة ، وجلس القوم في جلسة تعارفية واتفق القوم على الاتفاق بعد ثلاثة أيام لإعلان الموافقة ، وتمت الخطبة الشرعية الإيجاب والقبول وتحدد أن يكون الاقتران بعد أسابيع ، وتدوين العقد في المحكمة الشرعية ، وتعيين يوم الزفاف واحتفل الزملاء بخطبة الشابين .

قال عدنان : لم يتم الزفاف ، ولا كتب العقد ، السبب أن حضرة الدكتور تبين لنا أنه قبل عمله في مستشفى منار الوطني الحكومي قد اشتغل في مستشفى خاص وفصل أو طرد بسبب علاقة أو تحرش مع ممرضة ، وتكتم على تلك الحادثة ، وكشفت لما نشرت الصحف خطبة جهاد ومنار ووصلت المعلومة للممرضة المتحرش بها فسعت للوصول إلى هاتف منار وكشفت لها قصتها وزارت منار مدير المستشفى ، وأقر ببعض أفعال الدكتور ، ولما حدثت جهادا بقصة الممرضة حاول الإنكار وزعم أنها هي عرضت نفسها وصداقتها عليه .

فقالت : بصراحة أنت تكذب ، وأنت فصلت وطردت .

وأخذ يحلف ويقسم ببراءته فقالت : أنا قابلت مدير المستشفى وأكد لي قصة الممرضة جميلة حوشن وغير ذلك .

قال: حسنا ! انتهى الموضوع يا دكتورة

قالت : الكذب حباله قصيرة يا جهاد ! كل تكاليف الخطبة سأعطيك إياها كما دخلنا بالمعروف نفترق بالمعروف.

قال: كما تريدين

قالت : لم تكن صادقا معي ، وزعمت أنك لم تعرف الحب والبنات ، وأنك تعيش حياة جادة

قال: أتمنى لك التوفيق.

قالت وهي تنهض : وأتمناه لك.

وفشل الاختيار ، وانتشر سبب الانفصال مما سبب فضيحة للدكتور جهاد وانتقل لمستشفى آخر يبحث عن زوجة ، تقدم مدير المختبرات في المستشفى لمنار بعد هدوء العاصفة وبعد عدة لقاءات ، قبلت منار به زوجا وتزوجت الدكتور رمال حسني ، واحتفلوا بالزواج في صالة أفراح شهيرة في ضاحية المدينة ، وفرح المحبون ، وتألم المبغضون ، وبعد الزواج بشهر تقريبا قدم الدكتور رمال حسني استقالته لمدير المشفى ؛ لأنه كان ينتظر الرحيل لدولة خليجية للعمل في مستشفى عالمي .

قالت : هل من ردود ؟ لك ثلاثة اشهر تنتظر .

قال: حينما اصل سأقدم أوراق سفرك وأوراق عملك سواء معي أم مع الحكومة.

قالت : الغربة مرة يقولون

قال: لن نشعر بالغربة ، أغلب وقتنا في العمل، ولي أقارب كثر سبقوني ، وأنا عن طريقهم قدمت أوراقي ، والراتب ضعفي راتبي هنا

قالت : هو هذا المغري في تلك الديار ذات الحر وارتفاع الرطوبة

قال: الإنسان يتكيف يا منار .. ولسنا أول من يهاجر إليها .. بعضهم يهاجر إلى أمريكا وأوروبا .. كل بلد لها محاسن ومساوئ .. لم يحصل حمل

قالت : أراك متعجلا

قال: أمي المستعجلة كلما اتصل بها تسأل

قالت : بعد مضي الشهر السادس اذا لم يحصل المطلوب، ولم تسافر نجري فحوصات تناسلية وطبية .. طمن أمك .

قال: إن شاء الله.

قبل دخول الشهر السادس لزواجها رحل رمال حسني للقطر العربي لممارسة العمل كمدير مختبر طبي في الدولة العربية ، وعادت منار للحياة في بيت والديها حتى يتيسر أمر رحليها وقدمت استقالتها لمديرها ، ونقلت ما يلزمها من ملابس وأغراض ، وعرضت الشقة للإيجار

كشقة مفروشة ، لأن الشقة ملك الدكتور رمال حسني ، أجرت منار فحوصات مخبرية لجهازها التناسلي ، وأظهرت التحاليل المخبرية وصور المبايض والرحم أنها صالحة للحمل ، لم يكشف عن عيوب وعوائق تمنع الحمل والإخصاب ، وكانت تنتظر الرحيل بهوس وشوق ، ورحلت فور قبول سفرها وهجرتها ، ورحب بها زوجها بشوق وحنان ، ونقلت له نتائج الاختبارات ، واطلع على التقارير ، وغمرته الغبطة والحبور ، وطمأنها على تحاليله التي أجراها في مختبر المستشفى ، وأنه أيضا لا يعاني من معوقات إنجابية ، وخلال شهرين تمكنت من العمل في احد المراكز الطبية ريثما يتيسر لها الوظيفة في مستشفى حكومي ، وقد استطاع رمال حسني من توظيفها في مكان عملة في مستشفى الشرق الأقصى الأوربي الذي يعمل في المنطقة العربية الخليجية.

مضت السنة الأولى بينهما دون أن يتحقق الحمل، وارتفع منسوب القلق والتوتر في علاقاتهما الجنسية من عدم إنتاج بيضة مخصبة ، السنة ذهبت من عمرهما دون ثمرة ، كثرت الفحوص وزيارة عيادات المشاكل التناسلية دون معرفة العوائق ، ولديهما لهفة للخلفة ، انقضت أخرى سنة ، تزوج الطبيب سرا أو خفية عن زوجته منار ، تزوج طبيبة من بلده تعمل هي وشقيقها منذ عهد قريب في تلك المدينة ، وبعد زواجها عاد اخوها للوطن ، فلما علمت منار بزواج رمال حسني دون تمهل وتردد طلبت الطلاق ، وعجل رمال حسني به ، وكأنه كان ينتظره، لم يحب أن يأتي الطلاق منه ابتداء، فزوجته الثانية تقبلت الأمر ، عادت منار إلى بلدها ووطنها بعد ما يقارب خمس سنوات ، واستقرت طبيبة في احد المشافي ، وكانت في حالة نفسية صعبة ومؤلمة لها وللعائلة ، تجاوزت الثلاثين سنة ، ولم تلد وحتى لم تعد زوجة ، مضت الأيام عندما عرضت عليها أختي أمها أن تتزوج من عيسى مسلم ، قريب لنا على ضرة ، ومن ضغطنا قبلت، وتزوجها الدكتور عيسى ضرة لأمراته ، والمفاجأة أيها الفضلاء أنها حملت من الكهل عيسى ، وعمنا وغمرنا الفرح ، وذبحت أمها النذور كما قيل ، وولدت أخيرا الطبيبة بنتا جميلة ، سميت هبة ، ثم ولدت ابنا سمته خالدا ، وهنا بعد ميلاد خالد بشهور أخذت تطلب من الدكتور عيسى

مسلم طلاق زوجته أم الأولاد الأربعة ، أحدهم ابن اثني عشرة سنة، مما أثار دهشتنا وحيرتنا، والحجة أن ضرتها أم وائل لا تحترمها هي وذريتها ، كل مشكلة تصير معركة ، وأصرت على طلاق أم وائل أو طلاقها هي فقلت لها :يا أم خالد ما بك؟

قالت مستهجنة : شكى لك يا خالي!

قلت : أمك أختي هي التي طلبت مني أن أتكلم معك

قالت : لم اعد أطيقها ، واخشى على أولادي منها ومن غدرها

قلت : إنهم أخوة أولادك ، ووالدهم واحد.. فهذا وسواس يا دكتورة فنحن فرحنا جدا لولادتك وسعادتك ؛ فليس لك الحق في تطليق ضرتك، فالرجل لم يتزوجها لكره أو بغض الدكتور رغب في التعدد ، وعيسى كان يبحث عن امرأة ثانية ليس لبغض لها ، فعلت أمك ذلك شفقة عليك ومحبة لك.

قالت :كرهت الشراكة والخوف

قلت لها : خوف وهمي ، ولن تضرك أم وائل وهي سيدة فاضلة ومحترمة

قالت : أنا حامل في البطن الثالث ، فعليه أن يفكر يا أنا يا هي

قالت : هذا ليس عدلا أنت في شقتك ، وهي في شقتها ؛ بل صارحني أنه أمام الصراع بينكما يفكر ببناء شقة ثالثة ليتزوج ثالثة

قالت : هددني بذلك مرات

قلت : نصيحتي قبل انصرافي تمسكي بزوجك وأحبي أولاده ، فهم أخوة خالد وأخته هبة فالرجل لو لم يردها لطلقها قبل قبولك به .

ظلت النزاعات العائلية بين منار وزوجها حتى وصلت لصفع أم ووائل لمشاجرة بدت بالكلام عندما شكى الصبي لأمه أن خالته صفعته وبصقت عليه، فعتبت أمه على منار فما كان منها إلا أن شتمتها وأهلها ، وضربتها على وجهها ، فما كان من الدكتور عيسى لما علم بالمعركة أن طلق منار التي رفضت الاعتذار لأم وائل والصبي المراهق؛ بل تحدته قائلة : يا أنا يا هي!

قال : أنت طالق ، غدا نطلق أمام القاضي.. أنت طالق.. يا دكتورة لولا خاطر أمك وخالك ما تزوجتك، كما رضيت صفية بك ضرة كان عليك أن تحمدي الله على زواجك مني.. أهلك أولى بك ، وأنا كنت افكر ببناء شقة ثالثة لأتزوج أرملة أخي عفيف .. قلت من هنا حتى أبني واذا لم تتزوج سأضمها لكنّ حتى أربي أطفال أخي معنا.

حصل الطلاق ، ورفض عيسى التراجع من أجل الجنين قال عدنان :وثق الطلاق وأخذت منار عفش الشقة وحقوقها المالية ، وبدل أن يبني عيسى شقة جديدة أثث الشقة من جديد ، وتزوج فعلا أرملة عفيف ، وكان لديها ثلاثة أطفال ، فعفيف أصغر من عيسى .. لما ولدت منار سعى بعضهم لدى عيسى بالزواج منها من جديد ، فرفض وقال: نسائي مستعدات لتربية أولادها اذا لديها رغبة بالتخلي عن حضانتهم ، اضطرت منار لاستئجار خادمة لرعايتهم أثناء عملها ودوامها وامتلكت شقة خاصة بها ، والتزم عيسى بدفع الحضانة القانونية حسب قرار المحكمة وهي اليوم تعيش مع ثلاثة أطفال وترفض الزواج لأن كل من يتحدث عنها فوق الخمسين ، إما أرامل أو مطلقين أو يرغبون بالتعدد لعجز نسائهم عن الجماع بسبب الأمراض والسن .

قال عمر : هل انتهت قصة ابنة أختك؟

قال : لم يبق الكثير أيها التاجر القماش! أنت عندك اثنتان ابنة عمك وبنت كانت يتيمة لأن اليتم بعد البلوغ ينتهي

قال ضاحكا : زمان انتهى قبل أن أتزوجها .. بس الناس تظل تقول اليتيمة يا دكتور عدنان

قال طارق : اكمل السطر الأخير يا أخ عدنان

قال : بقي اكثر من سطر .. أربعة أو خمسة اسطر

غمرهم الضحك وقال عزيز : هات الفصل الأخير من مأساة الدكتورة منار التي طلقت نفسها بنفسها.

قال مبينا موقفها الغريب : هي توهمت يا أخ عزيز أن عيسى مسلم تزوجها من نفسه وعن غرام وإعجاب .. لم تعرف بدورنا أنا وأختي لزواجه منها .. ظنت أن الدكتور اغرم بها لما رآها

في عرس أخيها ، وتهامس مع أمها وهو يحدق بها فاعجب بها ، ومال إليها ، هكذا ظنت إنما كان قصد أختي تعريفه بها ؛ ليفكر فيها كزوجة ثانية ، ولما شاهدها قال لي : اذا قبلت فحي هلا .. وقدر الله الزواج أيها الاحبة .

قال حمزة :السطر الأخير يا سيد عدنان

قال : السطر الأخير يا عمر ! عاشت الطبيبة وحدها مستقلة ، وما زالت ، وقد كبر خالد والبنتان ، والكبرى دخلت الجامعة وقد يتزوجها أحد أولادي اذا قدر الله ذلك ؛ لكن السطر الأخير أن الدكتور رمال حسني زوجها الأول رجع للوطن ، تصحبه زوجته وأولاده أنجب بعد زواجه الثانية ، ولما علم بأن السيدة منار مطلقة اتصل بها عن طريق وسيط أنه مستعد للاقتران بها ، فأخبرت الشفيع أنها تقبل اذا طلق امرأته التي تزوجها ، وكانت سبب انفصالهما فعجز عن ذلك، فكيف يطلقها وهي التي أعادت له فحولته وبسمة الحياة ؟.. الإنسان المسلم عندما تذهب من نفسه فورة الجنس والشهوة والرغبة يريد الأبناء " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين" انتهت الشهوة للجنس الآخر ، فيحتاج الولد ثم المال والخيل

قال حمزة: أحسنت يا دكتور ترغب بمصاهرة ابنة أختك!

قال : هي صديقتي ولست خالا فحسب ، وتحب سماع رأيي وكلامي ، وبحكم ذلك عرفت الكثير من تفاصيل حياتها ، وزوجها والد بناتها صديقي ، وقريب ، فأمه ابنة خالة لأمي وكلاهما الابن والبنت مرحب بذلك

قال : والبنت مرحبة.

قال عدنان : البنت وابني لحد الآن لا اعتراض لديهما .. بقي الأستاذ ماهر الخطاط لم يرو قصة طلاق عاصرها.

الجارة

قال ماهر : أنا نفسي طلقت مرتين يا دكتور عدنان ، أنا عجبت من اهتمامكم بهذا الموضوع ، والتركيز على الطلاق؛ لأن ظاهرة الطلاق موجودة ومنتشرة في كل بلدان مدن وقرى العالم بصور مختلفة بقانون وبغير قانون ، أنا كما يعلم كل أعضاء النادي .. أنتم وغيركم .. أعمل خطاطا ورساما كمهنة ، وليس كهاو فقط أرسم لوحات وآرمات للدكاكين والمهرجانات والأطباء والمحامين والمدارس والسيارات حرفة جميلة ، تعلقت بالمهنة شابا مراهقا ، كان في شارعنا خطاطا ومحلا لعمل اليافطات واللوحات الصغيرة والكبيرة للبيوت والكرنفالات والانتخابات ، فتعلقت بمهنته وتدربت عنده بعد العودة من المدرسة ، والرجل لم يبخل عليّ بمعرفته وخبرته ، فلما أنهيت الثانوية العامة فلم أتابع الدراسة التحقت بسوق العمل عملت مع الخطاط في شارعنا ، ثم فتحت محلا خاصا بي ومع صديق، ولما التقيت بالدكتور عدنان قبل عمر طويل صرنا رفاقا ، حضر لأعمل لهم لوحة لحفل أو مناسبة ثم تطورت العلاقة ، وجذبني للاشتراك في النادي لقضاء أوقات الفراغ والمشاركة في نشاطاته ومعارضه ومعرفة فنون الخط العربي القديم والمعاصر .

قال عدنان : نعم ، ماهر حسان موهبة كبيرة في تخطيط اللوحات واليافطات ، وكثيرا ما قمنا بتكليفه بالخط والرسم بالخط لنشاطات النادي ومعارضكم .

قال طارق : كل الموجودين هنا يدركون ذلك ، كلمنا عن حكايات طلاقك يا أبا لؤي لنختم هذه الفقرة من رهاب الطلاق .

قال : نعم ، كانت عيني لما صرت في الثانوية ونضجت جنسيا على سعيدة ابنة الجيران ، كانت في نظري أجمل بنت رأتها عيني ، ونقلت هذا الإعجاب لأمي ، فقالت : أنت صغير يا ماهر انتظر حتى يتزوج أخوك حمدي أولا ، ولما تخلص الجامعة .

قلت : لا ارغب بالجامعة ولا المعهد ، سأعمل مع الخطاط برهان الدين ، وافتح محلا

قالت : لما تفتح محلك وتستقل سنخطب لك سعيدة بنت أم راسم

قال : كان كلامي في السليم ، ولما أصبحت صاحب محل ، ولي دخل خاص بي تزوجت سعيدة وسعدت بها ، وكانت نعم الزوجة ، حملت كذا مرة ثم يسقط الحمل، كان يقال السبب الجنين مشوه ، لم يكتمل خلقه فيسقط ، بعد عشر سنوات زواج حل بي مرض أضعف طاقتي وقدرتي الجنسية ، وعجزت عن الاتصال الجنسي والإخصاب ، علاجات أدوية من غير فائدة ، فطلقت سعيدة بالاتفاق وشفقة عليها ؛ لعل الله يعوضها خيرا مني ، وتزوجها بعد حين ابن عم لها يعيش في شارعنا ومتزوج ، لم نكن نرى تلك الأيام في التعدد مصيبة ونقمة ، وكانت الأرملة تتزوج والمطلقة مثلها ، كان الأمر لدى الحريم مستساغا ، وبالفعل لحد الآن خلفت منه اثنين .. هذه قصة المرأة الأولى في حياتي .. سافرت مصر للعلاج من العجز الجنسي وبعد علاجات عدت لأتزوج حتى أرى هل عادت إليّ القدرة على المعاشرة ، فسعى أهلي لزواجي من امرأة عاقر كتجربة حتى لا تزعجني امرأة بالخلفة والحمل ، فوافقت على هذه الأفكار ، ووجدوا امرأة فيها هذه الصفة ، العجز عن الحمل ، وسمعت قصتي وعجزي عن المعاشرة وغشيان النساء وأن مهمتها الأساسية خدمة ماهر ، قبلت لعلها حينئذ وازنت بين خدمة العائلة وخدمة فرد ، تزوجنا ، وجددت الأثاث لكسب حبها ، هي موظفة ، رتبنا على أنها فور انتهاء العمل تعود للبيت ، وأنا عادة أنهي العمل بعد العصر بقليل إلا في الأيام التي تحتاج لتأخير ، ولما يكون عندي مشوار للنادي هذا أسوقها إلى بيت أمها الأرملة أو بيت أمي الأرملة أيضا ؛ حيث مات أبي ـ رحمه الله ـ قبل طلاقي لسعيدة .. بصراحة كل العلاجات هنا أو في مصر لم تفد ، بقيت طبيعتي ميتة ؛ وربما أن هرمونات معينة عاجزة عن تنشيط القوة الجنسية ، لا تحدث أي إثارة فقبلت واستسلمت ، وأدوية البروستات لم تعيدني حيا ، عاشت السيدة ماري معي سنة دون مشاكل ، واعتقدت أنها تقبلت الوضع وعجزي الجنسي ، ولم اقصر معها في الثياب والنزهات والمطاعم سعيت لتعويضها بعض متع الحياة ؛ ولكن بعد سنة وشهور صارت تتأخر في العودة للبيت ، حججها ذهبت مع زميلة لحفلة لسهرة ، تضايقت من تكرار ذلك ، ولم تسكن النفس لتبريراتها ، فقلت لابن عم لي في الشرطة : يا يامن جئتك في قضية وغوشت قلبي ، وهو يعرف

مشاكلي الصحية.

فقال : تكلم يا سيد ماهر الحبيب

قلت : أنت تعلم أني تزوجت ماري وأنا لا أصلح للنساء ، وقبلتها عن طيب خاطر ؛ لأنها لا تصلح للولادة ، وهي قرب سني

قال : نعم ، هذا معروف

قلت : لها فترة غير طبيعية ، تتأخر في العودة للبيت بحجج شتى، وأشم روائح عطر على ثيابها وتارة أشم الخمر ، وتظنني لا أعرف رائحة الكحول بسبب عملي بالدهان والبوية والمذيبات .

قال بصراحة : تراها تزني !

قلت : هذا ما وقع في نفسي، قد حنت للرجال كما يقال .

قال : أوه ! وضع خطير يا ماهر !

قلت : حتى لو كنت عاجزا ، لا يمكن يا يامن أن أكون خنزيرا أو ديوثا.

قال : صحيح ، سأعرف لك الحقيقة.. سأتحدث مع بعض الزملاء وآتيك بالخبر اليقين.

قال ماهر : طلب بعض المعلومات عنها ، ووعدني بانتظار أسبوع ، قبل اللقاء معه لسماع تحرياته السرية ، وكنت عائدا من هنا للبيت ، فوجدت أخي مرادا ينتظرني أمام البيت ، فسلمت وسلم وقال : لا تنزل من السيارة.

قلت : هل حدث لأمي شيء؟!

جلس بجواري وقال: لا ، زوجتك ماري عملت حادث سير ، ضربت سيارة وهي سكرانة وهي في مخفر راس برقوق .. تحدث معنا زوج أختها بعد أن بلغته الشرطة .

قلت : سكرانة ! ما المطلوب؟!

قال : سنذهب للمخفر ، ونراها أولا ، ونعرف تفاصيل الحادث ، ونعرف ما حدث بالضبط وما حدث مع السيارة الأخرى

قال : انطلقنا إلى راس برقوق ووصلنا موقع الشرطة ، وقابلنا شقيقها مجيد أولا فأعاد على

مسامعنا ما تكلم به مراد ، ودخلنا فرأيتها ، فأخذت في البكاء ، فقلت : لما قلت لك رائحتك رائحة خمر قبل أيام أقسمت أنك لا تشربين ، التفت إلى شقيقها وشقيقه وقال: منذ اشهر أخذت تعود للبيت متأخرة ، وندر أن تعود مبكرة ، وتزعم أنها في سهرة عند الزميلات خطبة زواج عيد ميلاد أسماء أخرى ..أشم رائحة العطر والشراب تنكر .. لا تبكي .. ماذا صار للموجودين في السيارة الثانية؟

قال شقيقها : رضوض وجروح ، واعتقد أنهم خرجوا الآن ، وستتكفل زوجتك لتخرج معنا فقد تم فحصها وتأكد تعاطيها للكحول .

ارتفعت الأصوات قليلا وأخذت مرادا وقلت : امرأتي سكرانة يا مجيد!

قال : الآن ليس وقتا للوم .. كل العالم يسكر.. اذهب على بركة الله.. غدا نلتقي سيد ماهر

قال : تكلمت معهما بحدة ، وغادرنا المخفر في غاية السخط .

وقال مراد: لا أدري يا ابن أمي ! هل ستقف على السكر فامرأتك ليست نظيفة؟!

قلت : قد يبدو كلامك صحيحا ، منذ أيام صارحت ابن عمنا يمان ببعض المعلومات عنها حتى اطلقها بيقين وبدون ندم .. كفى سنة ونصف معها.

قال : صبرك الله .. نصيبك .

قلت : نعم ، نصيبي.. المرأة شابة يا مراد وتحتاج لذكر ولو أنها لا تنجب.

قال : صحيح ، الله يستر عليها.

صباح اليوم التالي أحضر مجيد شقيقته لبيت زوجها ، وقبلت رأسه ورجله ، فقال ماهر : أنا مجيد كما تخبر غير صالح للنساء ، وأختك بحاجة لرجل ، فأشرف لي ولكم أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف ، والله يستر عليها وستأخذ حقها كاملا.

قال : اخز الشيطان ، وستخدمك بعيونها ، وحتى ستترك الوظيفة وتقر في البيت ، فسمعتك سمعتنا يا سيد ماهر .

دخل مراد وابن عمي يمان أبو سعيد وسمعوا آخر الكلام ، فقال يمان: الأفضل يا مجيد أن تأخذ أختك فابن عمي رجل طيب وغلبان ، وسمعته لا تحتاج لتلويث .

صاح مجيد : من أنت ؟وما مكانك من الإعراب لتتحدث عن سمعته ؟

قال ماهر : هذا ابن عمي أبو سعيد ، وكما قلت نخرج بالمعروف يا مجيد.. الله يبعث لها من هو خير وأصلح مني ، ولا داعي لنشر غسيلنا.

قال : غلطت يا ماهر وسكرت وندمت .

قال : قلت أمس في المخفر ليست المرة الأولى يا أبا مروان!

قالت وهي تبكي : سامحني يا ماهر الشيطان والصبايا اغوينني .

قال يمان: دعونا من إبليس وأتباعه.. نخرج بالمعروف يا مجيد .. أختك تتردد بصراحة على النوادي الليلة قبل زواجها من ماهر ، ولها قضايا عند شرطة الآداب ، لقد خدعوا ابن عمي عند زواجه منها.

صرخ فقال : كلامك خطير وشنيع!

قال يمان : أنا شرطي وابن العم قبل أيام قبل الحادث طلب مني معلومات حول سلوكها فالرجل ارتاب فيها من شهور وحتى لا ينتشر شيء ، فالأفضل لها ولكم أن تخرجوا بالمعروف لقد خدع الرجل ، فأنا لم ذكرت اسمها الكامل لبعض الجهات قالوا يا رجل كيف تزوجها ابن عمك ؟! فيا سيد نحن لن قبل أن تعيش بيننا مومس .

قال : مومس !

قال : أتريد أن أصدق أنك لا تعرف أختك حق المعرفة ؟! أنا تفاجأت بالمعلومات التي نقلت إليّ يا مجيد ، واستغربت كيف ضحكتم على ماهر وخدعتموه ، ونحن ظننا أنه سأل عنها كفاية لكن حادث السيارة زاد من كشف الأمر ، الآن سنذهب للمحكمة ونطلقها لننسى أمركم ويا دار ما دخلك شر.

هجمت المرأة على يد يمان تقبلها ، وهي تبكي وتقول: استر عليّ .. استر عليّ أبا سعيد فلنذهب

يا مجيد للمحكمة.

قال ماهر : أدركت تمام الإدراك أن شقيقها يعلم فجورها وفسقها ،وأنني خدعت فيها ، وكنت ستارة لدعارتها ، وحسن ظني بهم، وبمن رشحوها للزواج مني .

قال : ومشينا لأقرب دار قضاء وطلقتها ، ورفضت أخذ مؤجل المهر ، وطلب منا مجيد الستر عليها ، ووعدناه أن نزعم أن سبب الطلاق السكر فقط إلا اذا سأل شخص عن الزواج منها سألنا نحن الثلاثة .. وافترقنا على باب دار القضاء الشرعي.

فقال عدنان : هذه مأساة الأخ العزيز ماهر بلونة ، وهو منذ عشرين سنة لم يعطر أنفه برائحة أنثى ، وقنع بالحياة بدون نساء كالرهبان ، وهو يردد لم يبق من العمر الكثير.

دعا له الجميع بحسن الختام ، وقال طارق: رحمك الرب يا ماهر ! هذه أول أسمع مأساتك ؛ ربما أنت أكثرنا إيلاما .. النساء بلايا بجلد أملس ، وهنّ حبائل الشيطان.

قال عزيز : لكن يا إخوان لا تحلو الحياة إلا بهن، هن الأوانس والأمهات والأخوات والبنات والحبيبات .

قال عدنان: رفقا بالقوارير يا أنجشة ، ولا تحلو الجنة إلا بهن يا إخوان.

قال عمر : وحتى الدنيا وحياتنا ، وها قد وجدنا عند كل منا حكاية مع الطلاق .. ويا لها من نهاية.

قال الدكتور جمعة : صحيح الزواج والطلاق لا انفكاك عنهما ، سعيد بزواجه ، حزين بطلاقه .. هذه الدنيا وأحوالها وتقلبها .



شعر

أبيات من قصيدة أو نونية الإمام الشهير بابن القيم عن النسوان في الدنيا والآخرة

لا تسبينّك صورة من تحتها ... الداء الدوي تبوء بالخسران
قبحت خلائقها وقبح فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان
ما ثم من دين ولا عقل ولا ... خلق ولا خوف من الرحمان
وجمالها زور ومصنوع فإن ... تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فما لها ... بوفاء حق البعل قط يدان
إن قصر الساعي عليها ساعة ... قالت وهل أوليت من إحسان
أفكارها في المكر والكيد الذي ... قد حار فيه فكرة الإنسان
فجمالها قشر رقيق تحته ... ما شئت من عيب ومن نقصان
أما جميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهن للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فردا من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن خلا ... من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ ... ـباقي بذا الأدنى الذي هو فان
كملت خلائقها وأكمل حسنها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها ... والليل تحت ذوائب الأغصان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ... ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها ... وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

أمثال في النساء

يُقَال أشأم من البسوس ، وأحمق من دغة ، وَأَمْنَع من أم قرفة ، وأقود من ظلمَة ، وَأَبْصر من زرقاء الْيَمَامَة .

إِذا قَالَت حذام فصدقوها ** فَإِن القَوْل مَا قَالَت حذام

وقالوا: إياك أعنى واسمعي يَا جَارة

قَالُوا : رمتني بدائها وانسلت

وَقَوْلهمْ : النِّسَاء حبائل الشَّيْطَان

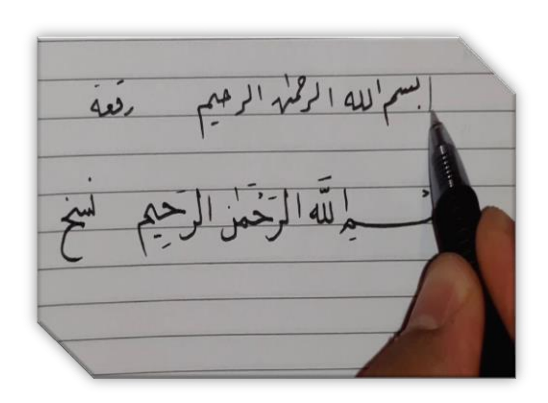
وَقَوْلهمْ : كل ذَات صدار خَالَة

وقَوْلهم : كل فتاة بأبيها معجبة

وقَول النَّبِي ﷺ :خياركم خياركم لأَهله

وقَول مُعَاوِيَة : إِنَّهُنَّ يغلبن الْكِرَام ويغلبهن اللئام

وقَوْلهم : تجوع الْحرَّة وَلَا تَأْكُل بثدييها



الفهرس

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشفق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

رهاب الطلاق

اجتمع ثلة من أعضاء نادي هواة الخط العربي

في أمسية وسهرة من سهرات النادي يتسامرون ويقصون

وكان القص عن حكايات طلاقهم وفشلهم في علاقة زواجهم.

فتكلم المحامي عن الطلاق في حياة أسرته

وتحدث الآخرون

وتكلم الضابط كيف تسبب الطلاق بموت والده ؟

وكيف ولدت امرأة احدهم بعد زواجه عليها؟

عشر حكايات مسليات

٢٠٢١